الفصل الثاني

الانحرافات المتعلقة بالقدر

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان وأصل من أصول الإيمان ولايعتبر المكلف مسلماً إلاّ بإيمانه بالقضاء والقدر، كما جاء في حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في سؤال جبريل ـ عليه السلام ـ للنبي ﷺ ومنه أنه سأله عن الإيمان فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت»[1].

ومن النصوص المخبرة عن قدر الله أو الآمرة بالإيمان به قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[3]، وقوله جلَّ ذِكره ـ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾﴾[4] وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ

---

(١) جزء من حديث طويل سبق تخريجه، وهذا لفظ مسلم.

(٢) الآية ٤٩ من سورة القمر.

(٣) الآية ٢ من سورة الفرقان.

(٤) الآيات ١ ـ ٣ من سورة الأعلى.

(٥) الآية ٣٨ من سورة الأحزاب.

لَنَا ﴿٥١﴾﴾[1]، وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ...﴾[2]، وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[3].

وفي صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ عن طاووس[4] ـ رحمه الله ـ قال: «أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز[5]. وفي مسلم وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[6]»)[7].

وتنوعت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلهما شيئاً واحداً، ومنهم من عرف كلاً منهما بتعريف يخصه، فجعلوا القضاء في الأزل، والقدر فيما لايزال، أي أن القضاء علم الله بما سيكون من جميع المخلوقات وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ وفق مشيئته، والقدر

---

(١) الآية ٥١ من سورة التوبة.

(٢) الآيتان ٢٢، ٢٣ من سورة الحديد.

(٣) الآية ١١ من سورة التغابن.

(٤) هو: الإمام التابعي طاووس بن كيسان اليماني، أبو عبدالرحمن الجندي، أحد الأعلام علماً وأدباً وعملاً، أخذ عن جماعة من الصحابة وأخذ عنه جماعة، توفي رحمه الله سنة ١٠٦ هـ. انظر: العبر في خبر من غبر ١/ ٩٩، وتهذيب التهذيب ٥/ ٨.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر ٣/ ٢٠٤٥، ومالك في الموطأ كتاب القدر، باب: النهي عن القول بالقدر ٢/ ٨٩٩، وأحمد في المسند ٢/ ١١٠.

(٦) الآيتان ٤٨، ٤٩ من سورة القمر.

(٧) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر ٣/ ٢٠٤٦، والترمذي في كتاب القدر، باب: ٤/ ٤٥٩، وابن ماجه في المقدمة، باب: في القدر ١/ ٣٢.

وجودها متفرقة في أوقاتها التي حددها الله لها أزلاً.

ومن العلماء من يرى أن القضاء هو إيجاد الله للأشياء فيما لايزال، والقدر علمه بصفاتها وتحديده لها بحدها الذي ستوجد عليه.

ومنهم من عرف القدر بتعريف شامل فقال: (تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته)[1].

إذن فهناك من جعل القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر هو وقوع الخلق على وفق الأمر المقضي السابق.

وهناك من عكس فجعل القدر هو الحكم السابق والقضاء هو الخلق.

وهناك من جعل القضاء والقدر كالإسلام والإيمان إن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا، أي: أنهما متباينان في حال الاجتماع لكل منهما معنى يخصه، ومترادفان إذا تفرقا، فإذا قيل هذا قدر الله فهو شامل للقضاء، وإذا ذكرا جميعاً فالتقدير ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه والقضاء هو ما قضى به تعالى في خلقه من وجود وعدم وتغير وغير ذلك[2].

وهناك من جمع بينهما في مفهوم واحد متكامل، جاء هذا فيما نقله صاحب جامع الأصول حيث قال: (وجماع القول في هذا: إنهما أمران لاينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه)[3].

وعلى أية حال فإنه يتضح أن القضاء والقدر، وعلى أي من الاتجاهين في تعريفهما يتضمن ما يلي:

الأول: الإيمان بعلمه ـ تعالى ـ الشامل المحيط، وأنه ـ جلَّ وعلا ـ علم بكل شيء جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك مايتعلق بأفعاله أو

---

(١) شرح أصول الإيمان لابن تيمية: ص ٥٣.

(٢) انظر هذا القول في شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٣) جامع الأصول لابن الأثير ١٠/ ١٠٤، وهذا القول نقله عن الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ.

بأفعال عباده، وعلمه تعالى محيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾[2].

وقال ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[3].

الثاني: الإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء، وأن علمه ـ سبحانه ـ بأعمال الخلق وأوصافهم وكل ما يتعلق بهم كتبه في اللوح المحفوظ، فكل ما هو كائن، مكتوب في إمام مبين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[4]، وقال ـ عَزَّوَجَلَّ ـ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[6]، وقال: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾[7].

الثالث: الإيمان بمشيئته النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن جميع الكائنات لاتكون إلاّ بمشيئته تعالى، سواء كان مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل خلقه، ومشيئة الله وقدرته تجتمعان فيما كان

---

(١) الآية ٣ من سورة سبأ.
(٢) الآية ٢٢ من سورة الحشر.
(٣) الآية ١٢ من سورة الطلاق.
(٤) الآية ٧٠ من سورة الحج.
(٥) الآية ٣٨ من سورة الأنعام.
(٦) الآية ١٢ من سورة يس.
(٧) الآيتان ٥٢ ـ ٥٣ من سورة القمر.

وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله ـ تعالى ـ كونه فهو كائن بقدرته لا محالة ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[1].

وما لَمْ يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله ـ جلَّ وعلا ـ إياه، وليس لعدم قدرته عليه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[2]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[3]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[4].

فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده، لا أنه عجز عنه، جَلَّ الله وتقدس عن ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[5].

الرابع: الإيمان بأن الله خالق كل شيء، وأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها وحركاتها، فهو سبحانه خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلاّ والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها، لا خالق غيره ولا رب سواه، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[6]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[7] وأخبر عن نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[8].

---

(١) الآية ٨٢ من سورة يس.
(٢) الآية ٣٥ من سورة الأنعام.
(٣) الآية ١١٨ من سورة هود.
(٤) الآية ٩٩ من سورة يونس.
(٥) الآية ٤٤ من سورة فاطر.
(٦) الآية ٦٢ من سورة الزمر.
(٧) الآية ٢ من سورة الفرقان.
(٨) الآية ٩٦ من سورة الصافات.

وهذه القضايا الأربع تسمى مراتب القدر، وأركان القدر، ولايتم الإيمان بالقدر إلاّ بالإيمان بها، فمن أقر بها جميعاً فإن إيمانه بالقدر يكون مكتملاً، ومن أنقص منها فقد اختل إيمانه بهذا الركن من أركان الإيمان، أو انتقض بحسب نوع البدعة أو الجحود.

وأفعال العباد مخلوقة مقدرة، مكتوبة معلومة لله تعالى، وهذا لاينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرته عليها، وقد ثبت ذلك بأدلة الشرع والواقع.

أمَّا الشرع فقد أثبت الله تعالى للخلق مشيئة وقدرة كما قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾[1]، وقال: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾[3]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[4].

أمَّا الواقع فإن كل عاقل يعلم أن له قدرة ومشيئة، بهما يكون الفعل والترك، وبهما يكون التفريق بين الفعل الإرادي كالمشي والكلام والنظر، والفعل غير الإرادي كالارتعاش والسقوط من علٍ أو سقوط شيء عليه.

ومشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى وقدرته لقوله - جلَّ وعلا -: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[5] فلايكون في ملك الله تعالى شيء بدون علمه ومشيئته جلَّ وَعَلاَ.

والإيمان بالقدر لايسوّغ لأحد من الكفار أو الفجار أن يتخذه حجة على ترك المأمورات أو فعل المنهيات، لأسباب عديدة منها:

---

(١) الآية ٣٩ من سورة النبأ.
(٢) الآية ٢٢٣ من سورة البقرة.
(٣) الآية ١٦ من سورة التغابن.
(٤) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.
(٥) الآيتان ٢٨، ٢٩ من سورة التكوير.

١ ـ أن كل أحد من العقلاء يعلم بداهة الفرق بين العمل الاختياري والإجباري، فالاختياري يستطيع التخلص منه، وكل فاعل يحس أنه يفعل الشيء أو يتركه بدون أي شعور بإكراه، وذلك دليل إرادته واختياره.

٢ ـ أن الله تعالى وجه إلى المكلفين أوامر ونواهي، ولولم يكن للمكلف اختيار وقدرة، لكان الأمر والنهي الموجه إليه من التكليف بما لايستطاع، وهو أمر تأباه حكمة الله ورحمته.

٣ ـ أن الله مدح الطائع ووعده بالثواب، وذم العاصي وأوعده بالعقاب، ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختياره لكان مدح الطائع وإثابته عبثاً وذم العاصي وعقابه ظلماً، والله تعالى منزه عن العبث والظلم.

٤ ـ أن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان طريق الخير والأمر به وإيضاح طريق الشر والنهي عنه، ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره لما كان هناك فائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب.

٥ ـ أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلاّ ما يستطيع، كما قال ـ جلَّ ذكره ـ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[1]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2] ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لايستطيع الخلاص منه، وهذا باطل.

٦ ـ أن العاصي يقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله تعالى قدّرها عليه، إذ لايعلم أحد قدر الله تعالى إلاّ بعد وقوع القدر ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[3] فكيف يصح الاحتجاج بحجة لايعلمها المحتج بها حين اعتذر بها؟ إذ قدر الله تعالى سر مكتوم لايُعلم إلاّ بعد

---

(١) الآية ١٦ من سورة التغابن.

(٢) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٤ من سورة لقمان.

وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقه على فعله، فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله.

٧ ـ يقال للعاصي المحتج بالقدر: لماذا لم تقدم على الطاعة مقدراً أن الله تعالى قد كتبها لك؟.

فالإنسان له قدرة وإرادة واختيار ومشيئة وتمييز بين الخير والشر والحق والباطل والحسن والقبيح، ولايؤاخذه الله إذا انعدمت قدرته أو زال اختياره.

إذن فالعمل الذي يعمله الإنسان من خير أو شر هو من قدر الله تعالى وهو بإرادة الإنسان واختياره، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[1].

ولما أخبر النبي ﷺ أن الله كتب مصير كل نفس من الجنة والنار، قال أحد الصحابة أفلا نترك العمل اتكالاً على ما في القدر، قال الرسول ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[2]»[3].

وقد اتفقت جميع الكتب السماوية والسنة النبوية على أن القدر السابق لايمنع العمل ولايوجب الاتكال، بل يوجب الاجتهاد والجد والحرص على عمل الصالحات، وقد ذكر الله تعالى احتجاج المشركين بقدر الله ومشيئته على شركهم، ورد عليهم وأبطل حجتهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ

---

(١) الآية ١٠٥ من سورة التوبة.

(٢) الآيات ٥ ـ ١٠ من سورة الليل.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ ٤/ ١٨٩٠، ومسلم في كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ٣/ ٢٠٣٩، وأبو داود في السنة، باب: في القدر ٥/ ٦٨.

كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[1].

وهذه الآية تتضمن الرد على احتجاج المشركين من عدة أوجه منها:

١ ـ أنهم أشركوا أي اختاروا طريق الشرك والضلال وتنكبوا طريق الهداية والحق، ومن كان هذا اختياره فالعدل أن ينال جزاءه الموافق لفعله، فكيف يصح له أن يحتج بالقدر؟.

٢ ـ أن احتجاجهم بالقدر على شركهم وتشريعهم غير شرع الله في التحليل والتحريم احتجاج باطل زائف؛ وذلك لأنهم لايعلمون ما هو قدرُ الله تعالى قبل صدور تلك الأفعال منهم، إذ أن قدره ومشيئته الكونية غيب لا يعلمها قبل وقوعها إلاّ هو سبحانه وتعالى، فكيف يصح أن يحتجوا بحجة لا يعلمونها قبل إقدامهم على هذا الأفعال الشنيعة؟ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[2].

٣ ـ هل يصح أن يقدم الإنسان على القتل أو السرقة ويتوجه إلى ذلك قائلاً: كتب الله عليّ ذلك فأنا ذاهب لأقتل أو أسرق؟ هل اطلع على قدر الله حتى يعلم ما كتب الله عليه في اللوح المحفوظ؟ وهو مخاطب ومأمور بترك القتل والسرقة.

٤ ـ ولماذا لا يقبلون هداية الله ودلالاته ويقبلون على طاعته مقدرين أن الله تعالى قد كتب عليهم الطاعة؟ إذ لا فرق هنا بين المعصية والطاعة، من حيث الجهل بقدر الله قبل وقوع الفعل من العبد.

إذاً فليس مع هؤلاء وأشباههم من حجة ولا علم ولا برهان، بل يتبعون الظن وما تهواه الأنفس ولله الحجة البالغة.

---

(١) الآيتان ١٤٨، ١٤٩ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام.

وإرادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين: كونية وشرعية، فالكونية هي التي بمعنى المشيئة مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[1] فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة.

والشرعية هي التي بمعنى المحبة كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[2] فالكونية يلزم فيها وقوع المراد ولايلزم أن يكون محبوباً لله تعالى، وأمَّا الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولايلزم وقوعه.

والشر لاينسب إلى الله تعالى؛ لأنه الرحمن الحكيم، كما قال النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**»[3] فلكمال رحمته وحكمته لاينسب الشر إلى قضائه تعالى إذ ليس فيه شر أبداً.

وإنّما يكون الشر في مقضياته كما جاء في دعاء النبي ﷺ: «**وقني شر ما قضيت**»[4]، فأضاف الشر إلى ماقضاه سبحانه، ومع هذا فإن الشر في المقضيات ليس شراً خالصاً محضاً بل هو شر في محله من وجه خير من وجه، أو شر في محله خير في محل آخر[5].

---

(١) الآية ٨٢ من سورة يس.

(٢) الآية ٢٧ من سورة النساء.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٣٤، والترمذي في كتاب الدعوات باب رقم ٣٢ ٥/٣٤٢٢، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: مايستفتح به الصلاة من الدعاء ١/٤٨١.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة، باب: ماجاء في القنوت في الوتر ١/٣٢٨، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب: القنوت في الوتر ٢/١٣٣، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ماجاء في القنوت في الوتر ١/٣٧٢، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب: الدعاء في الوتر ٣/٢٤٨.

(٥) انظر تفصيل هذه القضايا في: معارج القبول ٢/٢٦٦ ـ ٣٢٦، وشرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين: ص ٥١ ـ ٥٦، وعقيدة أهل السنة والجماعة له: ص ٣٢ ـ ٣٨، وشرح أصول الإيمان له: ص ٥٣ ـ ٦٠، وشرح العقيدة الواسطية له ٢/١٨٧ ـ ٢٠٨، والقضاء والقدر لعمر الأشقر، والإيمان لمحمد نعيم ياسين: ص ١٥٧ ـ ١٨٠، وشرح الواسطية لمحمد خليل هراس وعبدالرزاق عفيفي: ص ١٥١ ـ ١٦٠، =

وخلاصة القول: إن عقيدة القضاء والقدر جزء أصيل من عقيدة المسلم، وهذه العقيدة في صورتها الصحيحة التي جاء بها الكتاب العظيم والسنة المطهرة وسار عليها السلف الصالح؛ تمثل محور توازن وشمول في حس المسلم؛ ذلك أنها مرتبطة بعقيدة المسلم في الله تعالى الإله الخالق المتصف بصفات الكمال ـ جلَّ وعلا ـ ومن أصول هذه العقيدة أنه لايُمكن أن يقع في ملك الله مالم يقدره الله.

وعقيدة القدر كما هي عند المسلم الحق نقطة توازن مهمة، فهو يشعر بعظمة الله وقدرته على كل شيء، ويؤمن بأنه لايجري شيء إلاّ بمشيئته سبحانه، ولكنه مع هذا الشعور والإيمان لاينزوي في سلبية وتقاعس عن العمل والإبداع والإنجاز، كما أن شعوره بقدرته على العمل والإنجاز وحريته في الاختيار، ورؤيته نتاج عمله الفكري أو الجسمي، لاينتهي به إلى تأليه نفسه وطغيان ذاته، واستكباره عن ربه بما يرى من فاعلية وإنتاج، كما أنه في إيمانه بهيمنة الله على كل شيء وكينونة كل شيء بأمره ومشيئته لاينتهي به إلى نسيان الأسباب وإهمالها، واطراح السنن الإلهية التي أودعها في الكون والحياة والإنسان، وفي الوقت نفسه حين يشعر باستمرار هذه السنن وانتظامها لايصل به هذا الشعور إلى نسيان قدر الله تعالى أو تجاهله اعتماداً على الأسباب أو اتكالاً على السنن الكونية، على اعتبار أنها قوانين حتمية لابد أن يصل فيها السبب إلى النتيجة على كل حال، بل المسلم الحق يعمل بالأسباب معتمد القلب على الله رب الأسباب.

وقد انحرفت طوائف من الناس في القدر، منهم من هو من أهل القبلة، ولكن ضلّ وابتدع بنفي القدر أو بالجبر أو بالزعم أن الأمر أنف، أو بنفي خلق الله لأفعال العباد، أو بنسبة الأفعال الإرادية إلى القدر دون المقدر، أو بتسويغ المعاصي احتجاجاً بالقدر، وترك العمل والكسب اتكالاً على القدر، وغير ذلك من أنواع الضلال الذي وقعت فيه طوائف من أهل الإسلام.

= ولوامع الأنوار البهية ١/ ٣٤٥ ـ ٣٦٣، وفتح الباري ١/ ١١٨، ١١/ ١٤٩، ٤٧٧، وجامع الأصول لابن الأثير ١٠/ ١٠٤، وشفاء العليل لابن القيم الجوزية.

كما أن أمماً ومللاً غير ملة الإسلام وقع أهلها في ضلالات كبيرة في القدر وانحرافات هائلة في فهم معنى القدر ولوازمه في الحياة العملية، وأظهر هذه الانحرافات:

١ ـ السلبية العاجزة، والتراخي عن العمل والإنتاج والإبداع وعمارة الحياة بما يلزم لها، وذلك بترك الأسباب جملة، والزهد في العمل والإبداع والابتكار والاكتشاف، وكانت الهندوكية والبوذية والرهبانية النصرانية نَماذج لهذا النوع من الانحراف.

٢ ـ الافتتان بالأسباب الظاهرة، والاتكال على قوانين الحياة ونواميس الكون التي خلقها الله، والشعور الطاغي بالإنسان وعمله وإنتاجه، بل تأليه الإنسان والإنتاج والإبداع والاعتقاد بأن الإنسان يصنع قدره بنفسه.

وهذا النوع من الانحراف هو أبرز علامات الجاهلية المعاصرة، وقد أخذ المستعبدون للفكر الغربي من علمانيين وحداثيين هذا الأصل الجاهلي الخطير وساروا عليه في كليات أفكارهم ونتاجهم أو في كثير من فروعها وجزئياتها.

وبهذا يصح لنا أن نقول بأن ما يمارسه هؤلاء من استنساخ وتقليد، ونقل ليس إلا عبودية المنهزم الذليل للغرب الظافر المستعبد، وتقليد الواهن الهزيل، على طريقة القرود!.

وأصحاب الأدب العربي الحديث ضلالهم في هذا الباب من هذا القبيل وهو أبشع وأشنع؛ لأنهم قد أسسوا بنيانهم على شفا جرف هار فانهار بهم في أودية الإلحاد والشرك والكفر، فكان ماجاء عنهم في هذا الباب من ثمار هذه الشجرة المادية الخبيثة.

وأظهر انحرافاتهم في باب القدر ما يلي:

١ ـ نفي وجود القدر، ونفي قدرة الله تعالى، وجعل القدر خرافة وكذباً.

٢ ـ ذم القدر والاعتراض عليه، وجعل الإيمان سبباً للتخلف والتحجر والمهانة والسذاجة.

٣ ـ التهكم والسخرية والاستخفاف بالقدر وبالمؤمنين به.

٤ ـ نسبة التقدير والقدر إلى غير الله تعالى، وزعم القدرة على تغيير مجرى القدر المكتوب.

٥ ـ نسبة الشر إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

٦ ـ تسويغ الرذائل والانحرافات بالقدر.

٧ ـ نسبة الأعمال الإرادية إلى القدر.

❁ ❁ ❁

أولاً: نفي وجود القدر، ونفي قدرة الله تعالى، وجعل القدر خرافة وكذباً:

منذ أن وقع أتباع العلمنة والحداثة تحت سيطرة الإلحاد ولوازمه وفروعه؛ فاضت أعمالهم بالحرب السافرة للدين وقضاياه وأعلنوا المحاربة المباشرة أو من وراء الحواجز لعقيدة الإسلام وشريعته.

غير أنهم مهما تطاولوا واستعرت نيران بغضائهم وعداواتهم لهذا الدين وأتباعه فإنهم لايُمكن لهم أن يتجاوزوا دائرة الإعاقة الفكرية والعقلية والشعورية كما أخبر الله تعالى عن عاقبة الشرك في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[1]، فكل فرد يحيد عن التوحيد ينحط في هيئة المعاق المقعد مذموماً بالعقيدة الذميمة التي اعتنقها، مخذولاً بالكفر والشرك والإلحاد الذي انتكس في حمأته، لا ناصر له، ومن لاينصره الله فهو مخذول وإن كثر ناصروه، وإن تظافر مؤيدوه، فالخذلان ملازم له في فكره وعقيدته وعمله، وإن ظهر لبادي الرأي أنه منتصر وفكره

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الإسراء.

بين الناس منتشر، فإن الوهن ملازم له والخذلان مصاحب لكل أحواله، ولفظ «فتقعد» يصور هيئة المذموم المخذول وقد حط به الخذلان فقعد، ويلقي ظل الضعف، فالقعود هو أضعف هيئات الإنسان وأكثرها استكانة وعجزاً، وهو يلقي كذلك ظل الاستمرار في حالة النبذ والخذلان؛ لأن القعود لايوحي بالحركة ولاتغير الوضع[1]، ومع أن هذه هي حالة هؤلاء المرتدين، إلاّ أنهم من خلال هالات المزاعم والادعاءات الجوفاء يصورون أنهم أصحاب تقدم وحركة وتحديث، وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون.

لقد دنسوا أنفسهم بالكفر والإلحاد، وارتكسوا في الرجس الوثني الذي نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[2].

والرجس نجاسة وخبث، وأخبث النجاسة مايصيب القلوب والعقول بسبب الشرك والكفر والردة والإلحاد والمادية، وهذه كلها دنس يصيب الضمير ويلوث القلوب، ويشوب نقاءها وطهارتها كما تشوب النجاسة الثوب والمكان[3].

وكلها تقود إلى قول الزور، والكذب والافتراء والمغالطة.

ومن تابع أقوال وأحوال الكافرين قديماً وحديثاً يجد هذين الوصفين من أظهر الأوصاف فيهم وفي أعمالهم: نجاسة وخَبَث في الاعتقاد والكفر، وزور في القول والعمل.

والله تعالى يريد من الناس أن يجتنبوا هذه الأرجاس الوثنية سواء تسمت هذه الأوثان باللات أو العزى ومناة أو تسمت بالعقلانية أو الحداثة أو العلمانية أو الماركسية أو غيرها من المذاهب والمناهج والنظم الوضعية الجاهلية، فكلها رجس وزور، والله يريد من الناس أن يميلوا عن الشرك

---

(١) هذا المعنى مقتبس من الظلال لسيد قطب. انظر: ٤/ ٢٢٢٠.
(٢) الآية ٣٠ من سورة الحج.
(٣) انظر: في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٢١.

كله بكل ألوانه وأشكاله ومسمياته، وأن يجتنبوا الزور كله، وأن يستقيموا على التوحيد الخالص النقي الطاهر القويم: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾[1]، ثم يبين تعالى صورة الذي ينحدر من أفق التوحيد إلى درك الشرك، فإذا هو ضائع، ذاهب بدداً كأن لم يكن من قبل أبداً ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2]، وهي صورة صادقة حقيقية لحال المشرك والملحد والمادي حين يهوي من الأفق الإيماني العالي إلى سفوح الفناء والانطواء والخذلان والوهن؛ وذلك لأنه فقد - باختياره - القاعدة الثابتة اليقينية، قاعدة التوحيد، وافتقد بسبب كفره وإلحاده وعلمانيته المستقر الآمن، فتخطفته الأهواء والشبهات، كما تخطف الجوارح المفترسة بغاث الطير، وتتقاذفه الأوهام والجهالات تفاذق الريح بالريش والورق اليابس، فتراه لايمسك بعروة وثقى ولايستقر على قاعدة ثابتة[3].

والمتأمل في أحوال وأعمال وأقوال هؤلاء الحداثيين يجد أنهم أحق الناس بهذه الأوصاف التي ذكرها الله الخبير العليم، فهم في نجاسة هذه العقائد النتنة يتقلبون، وبأقوال الزور والكذب يجأرون، وفي مهاوي الضلالات والجهالات يرتعون، فالحمدلله على نعمة الإسلام ونعمة العقل.

ولا أدل على مقدار الهوان الاعتقادي والعملي الذي تردى فيه المعنيون بهذا البحث من قضية القضاء والقدر، فقد استيقظت طاقاتهم في ظلمات الإلحاد والشك والشرك، فكانوا بمثابة الديدان التي تتغذى وتعيش وتتحرك في الجيف.

ومن نتائج هذه الطاقات ما نقرؤه في نتاجهم من انحرافات متراكمة وظلمات متلاطمة.

---

(١) الآية ٣١ من سورة الحج.

(٢) الآية ٣١ من سورة الحج.

(٣) انظر: في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٢١ - ٢٤٢٢.

فها هم بعد أن اشتروا ضلالة الإلحاد واستنبتوها في سويداء قلوبهم السوداء فرغوا عليها ضلالات أخر منها ـ ما نحن بصدده الآن ـ نفي قدرة الله تعالى، ونفي وجود قدرٍ قدّره الله وقضاه، وزعمهم أن قضية القضاء والقدر مجرد خرافة ودجل وكذب.

ولا ريب أن مناقشة هؤلاء في هذه المسألة فيه فائدة إبطال زيفهم وكشف زورهم وكذبهم، وإن كانت القضية الأولى بالنقاش معهم هي وجود الله تعالى وألوهيته، فإنهم بجحدهم ربوبية الله جحدوا قَدَرَه؛ وبجحدهم ألوهيته جحدوا حقه في الطاعة والتشريع، وبجحدهم أسماءه وصفاته جحدوا علمه وقدرته ومشيئته.

إن المنهج الذي يحكم تفكير هؤلاء منهج مادي إلحادي وهو الذي يحدد موقفهم من المنهج النقيض منهج الإيمان والتوحيد.

والذين يرتكزون في عقيدتهم وفكرهم على القيم المادية والمعطيات المادية، ويغفلون القيمة الكبرى الأساسية في حياة الإنسان «قيمة التوحيد والإيمان» هم أعداء للبشرية، لايريدون لها أن ترتفع عن مستوى الحيوان وعلى مطالب الحيوان.

وهم حين يطلقون آراءهم الجاهلية في عقيدة الفوضى التي يعتنقونها، عقيدة جحد القدر يهدفون من وراء ذلك إلى القضاء على قيم الإيمان وعقيدة الإسلام التي تعلق قلوب الناس بما هو أرفع من مطالب الحيوان ـ دون أن تغفل أو تنسى ضرورياتهم وحاجياتهم الأساسية ـ بل تجعل لهم مطالب أرقى وأشرف إلى جوار المطالب المادية التي يحتاجها الإنسان، والتي إذا اقتصر عليها ضاهى الحيوان وأشبهه.

وهذا الصراخ المستمر الذي تطلقه الحناجر المادية العلمانية والحداثية وغيرها ليس صراخاً بريئاً أو حيادياً أو موضوعياً، بل هو خطة مقصودة لإقامة أصنام حديثة تعبد بدل أصنام الجاهلية الأولى وتكون لها السيادة العليا على قيم الحق والخير والفضيلة.

وعندما تصبح المادية صنماً يكدح الناس حوله ويطوفون به في قداسة

الأصنام، فإن كل القيم والاعتبارات الأخرى تداس في سبيله وتنتهك العقائد والقيم والأخلاق والأعراض والنظم والأسرة والضوابط والضمانات، كل هذه إذا تعارضت مع المادية وأوثانها وسدنتها فيجب أن تمحى وتزال وتمحق وتنتقص!!.

فماذا تكون الأصنام إن لم تكن هذه؟ إنه ليس حتماً أن يكون الصنم حجراً أو شجراً أو جناً، بل قد يكون الصنم مذهباً أو منهجاً أو قيمة أو اعتباراً أو لافتة أو لقباً أو شخصاً أو نظاماً[1] إلى غير ذلك، ما دام متصفاً بأنه متبوع أو معبود أو مطاع من دون الله تعالى.

ومن لا يفقه هذه الحقيقة على وجهها فإنه بلا ريب لم يفقه التوحيد ولم يفهم الإيمان ولم يعرف الإسلام!!.

وما أكثر الذين ينتسبون إلى الإسلام ولكنهم لايفهمون هذه الحقيقة الأولية حق الفهم، ولايدركون هذا المعنى العميق بالإيمان حق الإدراك، ولذلك تجدهم في ريبهم يترددون، وخاصة عندما تدق الجاهلية المعاصرة طبول إعلامها وأزلامها، في إشادة وتبجيل للماديات ونتاجها وقيمها واعتباراتها ومناهجها التي تسعى إلى تدمير مبادئ التوحيد والإيمان والولاء والبراء، ومقتضيات ولوازم هذه المبادئ العظيمة.

إن جحد هؤلاء ونفيهم لوجود قدر كوني يحكم هذه المخلوقات لهو أعظم دليل على مقدار العته الذي أصيبت بهم عقولهم المظلمة.

إن التناسق والانتظام والتكامل والانضباط الموجود والمحسوس في هذا الكون والحياة والمخلوقات هي أعظم دليل على أن كل شيء محكوم بقدر يحدد حقيقته وصفته ومساره ومقداره وحركته وسكونه وارتباطه بسائر ما حوله.

إن هذه الحقيقة العميقة الكبيرة الظاهرة غابت عن عقول الملاحدة الماديين، على رغم ادعائهم المتواصل بالعقلانية.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ٣/ ١٨٠٠ ـ ١٨٠١.

(على أن الأمر أعظم من هذا كله وأشمل في التقدير والتدبير، إن حركة هذا الكون كله بأحداثها ووقائعها وتياراتها مقدرة مدبرة صغيرها وكبيرها، كل حركة في التاريخ ككل انفعال في نفس فرد، ككل نفس يخرج من صدر! إن هذا النفس مقدر في وقته، مقدر في مكانه، مقدر في ظروفه كلها، مرتبط بنظام الوجود وحركة الكون، محسوب حسابه في التناسق الكوني، كالأحداث العظام الضخام!)[1].

وإذا أردنا أن نتعرف على مدى الانحدار الفكري والاعتقادي في باب القضاء والقدر الذي وصل إليه أتباع الحداثة من خلال نفيهم لقدرة الله تعالى وإرادته النافذة ومشيئته التي لا تحد؛ فلنطلع على بعض من هرائهم في هذا:

من ذلك: ما وضعه النصيري الوثني «أدونيس» في تلمود الحداثة «الثابت والمتحول» من قواعد كفرية سار على منوالها الأتباع العمي الذين لايعقلون، ومن هذه القواعد قوله: (... وسواء تحركت القصيدة الجديدة في مستوى اجتماعي، أو مستوى نفسي أو مستوى استعادي ـ ذكروي، فهي تتحرك في إطار هذا الزمن، الزمن القدر / الخارجي. هذا المفهوم للزمن يبقينا في إطار النظرة التقليدية القائلة بأن الآلام والشرور «طبيعية» لا يُمكن الخلاص منها، والنظرة الجديدة «الشعرية» هي التي تقول بأن الآلام والشرور «غير طبيعية» ولذلك يُمكن الخلاص منها، النظرة الجديدة هي الخروج من قدر الطبيعة والدخول في إرادة الإنسان، هي الخروج من الثبات إلى التحول، هي الخروج من الصراعات والتناقضات الذهنية، والدخول في عالم الصراعات والتناقضات الحياتية، هي الإيمان بأن الإنسان قادر على تغيير نفسه والعالم معاً قادر على صنع التاريخ، والقصيدة الجديدة هي التي تكون من هذه الشرفة، مسرحاً للعالم)[2].

إن هذا القول المتولد من المادية الإلحادية ليس سوى دعاوى مفتقرة

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٤٠.

(٢) الثابت والمتحول ٣ ـ صدمة الحداثة: ص ٢٨٣.

إلى أدنى بينة أو دليل، وإلاّ كيف يُمكن الخروج من إطار القضاء والقدر؟ هل يُمكن تحويل الشمس عن مجراها؟ أو النجوم عن مسارها؟ أم هل يُمكن إخراج الحياة الكونية المترابطة من أصغر ذراتها إلى أكبر أفلاكها من إطار التسخير الرباني والتقدير الإلهي؟.

إن استطاع أدونيس وكل أشباهه وأتباعه أن يفعلوا ذلك فليفعلوه!!.

ثم لماذا يربط نظرته المادية الجامدة بقضية التحول والتقدم؟ وهي في الحقيقة نظرة لاتبتعد قيد أنملة عن مطالب الأرض وحظوظ الأرض ومقاصد الحيوان!!.

أليست هذه هي النظرة الجامدة اليابسة المنحطة، التي تأبى الرقي إلى أفق التوحيد والإيمان الأعلى والأرقى الذي يخلص الإنسان من وحول الماديات ويرتفع به إلى قمم سامقة عالية منيفة لايُمكن للمادي الملحد أن يحلم بها فضلاً عن أن يعيشها أو يمارسها أو يذوق حلاوتها!!.

أمَّا القول بأن الإنسان قادر على تغيير نفسه والعالم معاً وعلى صنع التاريخ، فهذه فكرة مسروقة عن المادية الجدلية المتمثلة في الماركسية، التي تقول بحتمية صراع الطبقات ثم حتمية التقدم نحو النمط المسمى «ديكتاتورية البلوريتاريتا» وهي فكرة ساقطة أثبتت الحوادث والأيام أنها مجرد وهم وخرافة تداعت بتداعي بنيان دولة الإلحاد المادي الشرقي «الاتحاد السوفيتي» بيد أن فكرة أن الإنسان قادر على تغيير نفسه والعالم ليست مقتصرة على مذهب ذوي العاهات الفكرية «الماركسية»، بل هي أصل لجميع المذاهب المادية في الغرب، وقد استنسخها أدونيس فيما استنسخ من أفكار وعقائد ثم جاء بها تحت مضلات مخادعة.

فما الذي نتج من خلال هذا الزعم المادي القائل بالقدرة المطلقة للإنسان في تغيير نفسه والعالم؟.

إن الذي حدث هو التسارع المفرط في درب الانحطاط البهيمي الحيواني فتحول الإنسان إلى جهاز آلي أو كتلة حيوانية!!.

لقد أحرزوا انتصارات شتى في اكتشافات القوانين الكونية وتسخيرها، وتحقق في عالم الصناعة والطب والمكتشفات والمصنوعات ما يشبه الخوارق ـ بالنسبة للماضي ـ وما يزالون في طريقهم لإحراز انتصارات واكتشافات مادية أخرى، ولكن ما أثر هذا كله في حياتهم؟ وما تأثيره في نفسياتهم وسلوكياتهم؟ هل وجدوا السعادة؟ هل وجدوا الطمأنينة؟ هل وجدوا السلام؟ هل زالت الآلام والشرور التي يزعم أدونيس إنه يُمكن للإنسان الخلاص منها؟.

كلا لقد عمهم الشقاء والقلق والخوف والأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والجريمة، وها هي شهادة أحد فلاسفتهم ومنظريهم المعاصرين يقول: (سبب الازدياد المطرد في عدد الجرائم الجنسية في أوروبا وأمريكا، القدر الكبير من القلق والجزع والخوف، ومن الإنصاف أن نقول بأن كل أصناف الجريمة قد ازدادت، إلاّ أن الجريمة والعنف الجنسيين قد سجلا أكبر نسبة من الازدياد)[1]، ثم يذكر أرقاماً تصاعدية لعدد الجرائم ثم يضيف: (وفي الولايات المتحدة مايزيد على ١٥٠٠٠ اعتداءً جنسياً في العالم، والسبب هو بلا شك الضغوط والتوترات الاجتماعية المتنامية في مجتمعنا الحضاري الآلي)[2].

ويقول: (إن مجتمعاً كمجتمعنا هو تربة خصبة مثالية لنمو كل أنواع الشذوذ الجنسي)[3].

ويقول معللاً هذه الظواهر الشريرة: (... إن انهيار «القيم» في مجتمعنا الذي حلله نيتشه بعمق كبير، لابد أن يؤدي حتماً إلى زيادة السادية[4]... وينبغي أن ندرك أن هذا الانهيار هو في معظمه «انهيار ثقافي»

---

(١) (٢) أصول الدافع الجنسي: ص ٢٥٨ لكولن ولسن.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٤٤.

(٤) السادية: ضرب من الانحراف الجنسي، يتميز بالحصول على اللذة الجنسية والاستمتاع الشهواني من جراء إساءة معاملة الأفراد الآخرين من الذكور والإناث، تستخدم هذه اللفظة أحياناً بشكل عام للدلالة على حب القسوة والفظاظة والتلذذ بتعذيب الطرف=

وثقافة مجتمع ما هي نوع من الثقل المقابل لضغوط الاجتماعية... فنحن نعيش في حضارة ذات ثقافة مادية أساساً)[1].

ويقول: (... وفي يومنا هذا، فالجريمة المنحرفة المثالية تأتي غالباً من السأم وتدعى «جريمة السأم» أي الجريمة التي ليس لها أي دافع معين والتي تنتج عن «الجريمة الزائدة» وعن فقدان أي إحساس بالهدف)[2].

لقد فقدوا الإطار الإيماني الذي يضبط الحياة والنفس ويسيّر الجميع في توافق وانسجام، لقد فقدوا التصور الصحيح للغاية من الوجود الإنساني ولأهداف الحياة الإنسانية (وحين تقاس غاية الوجود الإنساني وأهداف الحياة الإنسانية في ذهن الرجل المتحضر المعاصر، إلى التصور الإسلامي في هذا الجانب، تبدو هذه الحضارة في غاية القزامة! بل تبدو لعنة تحط من تصور الإنسان لنفسه ومقامه في هذا الوجود، وتسفل به، وتصغر من اهتماماته ومن أشواقه! والخواء يأكل قلب البشرية المكدود والحيرة تهدد روحها المتعبة.. إنها لاتجد الله.. لقد أبعدتها عنه ملابسات نكدة، والعلم الذي كان من شأنه، لو سار تحت منهج الله، أن يجعل من كل انتصار للبشرية في ميدانه خطوة تقربها من الله، هو ذاته الذي تبعد به البشرية أشواطاً بسبب انطماس روحها ونكستها، انها لاتجد النور الذي يكشف لها غاية وجودها الحقيقية فتنطلق إليها مستعينة بهذا العلم الذي منحه الله لها ووهبها الاستعداد له، ولاتجد النظام الذي ينسق بين طاقاتها وقواها، وآخرتها ودنياها، وأفرادها وجماعاتها، وواجباتها وحقوقها، تنسيقاً طبيعياً شاملاً مريحاً.. وهذه البشرية هي التي يعمل ناس منها على حرمانها من منهج الله الهادي، وهم الذين يسمون التطلع إلى هذا المنهج «رجعية»! ويحسونه مجرد حنين

= الثاني، وهي مشتقة من اسم المركيز الفرنسي دي ساد الذي كتب مطولاً في هذا الموضوع وارتكب العديد من جرائم الجنس ويقابل السادية المازوكية. انظر: موسوعة علم النفس: ص ١٣٦.

(١) أصول الدافع الجنسي: ص ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٦٠.

إلى فترة زاهية من فترات التاريخ.. وهم بجهالتهم هذه أو بسوء نيتهم يحرمون البشرية التطلع إلى المنهج الوحيد الذي يُمكن أن يقود خطاها إلى السلام والطمأنينة، كما يقود خطاها إلى النمو والرقي، ونحن الذين نؤمن بهذا المنهج نعرف إلى ماذا ندعو، إننا نرى واقع البشرية النكد، ونشم رائحة المستنقع الآسن الذي تتمرغ فيه، ونرى هنالك على الأفق الصاعد راية النجاح تلوح للمكدوديين في هجير الصحراء المحرق، والمرتقى الوضيء النظيف يلوح للغارقين في المستنقع، ونرى أن قيادة البشرية إن لم ترد إلى هذا المنهج فهي في طريقها إلى الارتكاس الشائن لكل تاريخ الإنسان، ولكل معنى من معاني الإنسان!)[1].

أمَّا أوعية التلقي المادي من أبناء البلاد الإسلامي من علمانيين وحداثيين ووجوديين وغيرهم؛ فإنهم يأبون إلاّ أن يكونوا نسخاً مكرورة للأرجاس الوثنية المادية المعاصرة، وصوراً منسوخة عن الانحرافات الضلالية الحديثة، فها هو أحدهم في كتابه «بحثاً عن الحداثة» يقول: (في الخرافة يتجلى ثاني أساسيات الثقافة العربية بوصفه تفسيراً للفاعلية وتعليقاً لها على وجود آخر غير منظور، وتنتشر تمثلات الخرافة تحت شتى المسميات، فهي القدر مرة، وهي الشيطان أو الكائنات الأسطورية مرة أخرى...)[2].

وليس جديداً أن تصبح الدعاوى الإلحادية الكفرية حقاً وحقيقة عند أصحابها، وتصبح الحقائق اليقينية خرافة ووهماً، فقد دأب على ذلك جميع الجاهليين القدماء والمحدثين ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[3].

ومن هذا التكذيب زعمهم أن الغيب خرافة والقدر خرافة، وهم لم يحيطوا بعلم ما كذبوا به بل هم في غاية الجهل والتجاهل، مع تطاول وتعالم وادعاء بأنهم أصحاب العقول والنظر والمنطق، ولا جرم أنهم أبعد

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٢) بحثاً عن الحداثة لمحمد الأسعد: ص ٦٦.

(٣) الآية ٣٩ من سورة يونس.

الناس عن هذا، وأشدهم تنكباً لطريق العلم واليقين والبرهان، انظر قول الباطني «أدونيس»:

(القدر اهتز على البحار

وانكسرت خواتم الخرافة

وهاهي الأغوار

فاترك لنا أن نزرع الشطآن بالمحار

أن نرسي الفلك على صنيّن

واترك لنا أن نصعق التنين

ياسيد الخرافة)[1].

فهو يصف كيف أن القدر أصبح عند الغربيين ـ ورمزهم البحار ـ خرافة، ثم يشيد بذلك زاعماً أن هذه الضلالة أو صلتهم إلى الأغوار والفهم العميق، ويتمنى أن يسلك سبيلهم ليزرع الشطآن وسائر البلدان بهذه الفكرة الغربية القائمة على كسر خرافة القدر ـ كما يزعم ـ ثم ينادي بقتل التنين والخرافة، وهما رمزان للتخلف يقصد بهما الدين وقضاياه، ومنها القدر.

وهكذا ينتحب الإلحاد في صورة شوهاء واستلقاء فكري انثوي!!.

أين هؤلاء عن أقوال الغربيين الذين اكتشفوا هزال حياتهم وشتاتها وفسادها وتناقضها وانحدارها؟ وهم كثير، بعضهم استطاع أن يصف الداء ويشخص المرض ويطنب في توصيف ذلك، وبعضهم اهتدى للدواء الشافي من هذه العلل، ومنهم ـ على سبيل المثال «ركس انجرام[2]» الذي قال بعد

---

(١) الأعمال الشعرية لأدونيس ١/٣٩٦.

(٢) ركس انجرام، ولد في اسكتلندا في أواخر القرن الماضي وشارك في الحرب العالمية الأولى، ثم رحل إلى العديد من بلاد الشرق ودرس لغاتها وأديانها، وانتهى به المطاف مصوراً سينمائياً في هوليود، ثم اعتنق الإسلام بعد أن وجد ضالته المنشودة. انظر: كتاب قالوا عن الإسلام: ص ١٥٤.

أن هداه الله للإسلام: (إني أعتقد أن الإسلام هو الدين الذي يدخل السلام والسكينة إلى النفس ويلهم العزاء وراحة البال والسلوى في هذه الحياة، وقد تسرب روح الإسلام إلى نفسي فشعرت بنعمة الإيمان بالقضاء الإلهي وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم، لقد درست الدين الإسلامي مدة سنين ولم أتخذه ديناً إلاّ بعد بحث قلبي عميق، وتحليل نفسي طويل، لم أغير ديني إلاّ لكي أجد الراحة من ضجيج الحياة الجنوني، ولأنعم بالسكينة في ظلال الهدوء والتأمل بعيداً عن متاعب الهموم والمحن التي يسببها التكالب على الكسب والتهالك على المال الذي أصبح اليوم معبود البشر وإلههم، ولأخلص نفسي من براثن الأغراء وخدع الحياة الباطلة، والشراب والمخدرات، وجنون فرقة الجاز، أسلمت لكي أنقذ ذهني وعقلي وحياتي من الهدم والتدمير)[1].

ومنهم «دونالدر كويل[2]» القائل: (لقد جذبني إلى الإسلام عوامل كثيرة لا أستطيع حصرها أو الوقوف عليها جميعاً؛ لأن منها الظاهر الجلي الذي لايماري فيه إنسان، ومنها الباطن الخفي الذي يغوص في أعماق الروح ويكمن في خبايا الضمير، لقد قرأت عن الإسلام وقرأت عن القرآن وشيئاً يسيراً من سيرة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فلفت نظري الشيء الكثير، لفت نظري بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها، فليست هناك أسرار ولا ألغاز تؤمن بها ولاتناقشها، بل مرد الإيمان إلى العقل والنظر في ملكوت الله، وما في الكون من نظام بديع يهدي ضرورة إلى وجود إله متصرف له الخلق والأمر)[3].

---

(١) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل: ص ١٥٤ ـ ١٥٥ وقد نقل ذلك من كتاب رجال ونساء أسلموا ١/ ٣٢.

(٢) دونالدركويل: أمريكي من مواليد يتلورفيل، تلقى تعليمه في مدرسة سيرنج فيلد العليا بواشنطن ثم أتم دراساته في جامعات واشنطن وكولومبيا حيث نال جوائز علمية كثيرة وهو شاعر وناقد أدبي صحفي، اعتنق الإسلام بعد طول بحث وتأمل. انظر: قالوا عن الإسلام: ص ١٨٢، ورجال ونساء أسلموا ٧/ ٩.

(٣) رجال ونساء أسلموا ٧/ ٩ ـ ١٠.

وإذا كان أدونيس وأمثاله من أجهزة الاستقبال الحداثي العلماني المادي؛ يرون أن الفهم الأعمق للحياة هو باطراح الإيمان ونفي القضاء والقدر وجعل القيم الدينية مجرد خرافة؛ يرون ذلك ويعتقدونه رضوخاً للفلسفة المادية التي اعتنقوها، وإرضاء لمعلميهم من أساتذة وفلاسفة الغرب.

إذا كانوا كذلك فإننا نجد من مفكري الغرب ومجربيه من يرى السقم والمرض والانهيار والتخلف في نسيج الحياة الغربية، ومن يرى أن حياة المسلمين البسطاء فيها من دواعي الطمأنينة والسعادة ما ليس في ثقافة وقيم الحياة الغربية.

يقول مؤلف كتاب «إنسانية الإنسان»: (أصبحت المدن العصرية، بخاصة الحواضر الأميركية الضخمة كابوساً مزعجاً لأنها تفشل باطراد في توفير محيط مرض للحاجات غير المتغيرة في طبيعية الإنسان البيولوجية، ولتطوره الثقافي...)[1].

ويقول: (بحب اعتبار أكثر الناس في بلاد المدنية الغربية ـ وبخاصة أمريكا اليوم ـ من الجانحين لأنهم يتصرفون وكأنّما المقياس الوحيد لسلوكهم هو إرضاء رغباتهم ودوافعهم الغريزية الآتية دون النظر لعواقب ذلك...)[2].

وعندما يتحدث عن حرية الإنسان والإرادة الحرة يبين أنه لاتوجد إرادة حرة طليقة بل لابد من ضوابط تحديدية كونية وعضوية لايُمكن للإنسان أن يخرج عنها، وهو لايتحدث في هذا من فراغ بل هو أخصائي كبير في علم الحياة «البيولوجيا» وحاصل على جائزة نوبل في العلوم سنة ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ.

ومع كونه يعتقد بخرافة «دارون» لكنه توصل إلى حقيقة وجود ضوابط تحديدية لايُمكن للإنسان أن ينفك عنها، وهذه الضوابط التي يطلق عليها «التحديدية الجبرية» هي ما يُمكن أن يسمى في دين الإسلام «القضاء والقدر»

---

(١) إنسانية الإنسان لرينيه دوبو: ص ٢٤٨ تعريب نبيل الطويل.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٢.

حيث لايُمكن للإنسان أن يخرج من إطاره ونظامه وقانونه مهما فعل.

يقول المؤلف المشار إليه: (. . . والمواقف تجاه مشاكل الحياة التي تندرج تحت تعبير «إرادة حرة» و«تحيديدية جبرية» قد تظهر في المستقبل أقل تعارضاً إذا اكتشف فيما بعد أن النشاطات الحياتية تضم فكراً أكثر دقة وعمقاً مما يسيطر الآن على ميادين الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا. . . يظهر أن الحرية تنعدم وتغيب لأن كل نواحي السلوك متأثرة بعوامل تكوينية، إرثية، وتجريبية، وبيئية. . . على كل حال أن في حدود وإمكانات الحرية عناصر تحديدية كافية في القوى المحيطة، وفي الخصائص البيولوجية الموروثة والمكتسبة في بنية كل فرد. . . الإرادة الحرة لاتستطيع العمل إلاّ حيث يوجد نوع ما من الإيمان والاقتناع، وتعتبر القيم غير قابلة للتغيير لأنه من المعتقد أنها جزء لايتجزأ من الطبيعة الأخلاقية في الإنسان. . . والمعلومات العلمية وحدها لاتقدر على تحديد أو فرض قيم تتحكم بالسلوك ولكنها توفر حقائق يُمكن على أساسها الاختيار.

صحيح أن الاختيار يكون أكثر منطقية إذا بني على معلومات حقيقة وعلى تقدير للنتائج، إلاّ أنه ـ أي الاختيار ـ يحتفظ دائماً بعنصر شخصي؛ لأنه في النهاية يضم محاكمة تقييمية، وهذه أيضاً تشكل بدورها تعبيراً آخر عن الاستقطاب: «الحرية»، «التحديدية الجبرية» وهي من أهم الخصائص المميزة في الحياة الإنسانية. . . أمَّا الإنسان فهو حر لأنه قادر على عدم ارتكاب الخطيئة وله الخيار في ذلك. . . والتعريف الميكانيكي لحياة الإنسان يخطيء الهدف؛ لأن ما هو إنساني في الإنسان هو نفسه بالتحديد «غير مكانيكي»)[1].

هذه الأقوال تدل في مجملها ـ على ما فيها من المآخذ ـ على أن الإنسان محكوم بقانون كوني لايستطيع الخروج عنه مهما حاول أو تطاول.

أمَّا مؤلف كتاب «دع القلق وابدأ الحياة» فقد أورد في آخر كتابه هذا

---

(١) المصدر السابق: ص ١٦٤ ـ ١٦٨.

قصصاً واقعية يروي أصحابها كيف قهروا القلق، ومن ضمن هذه القصص، قصة رحالة أوروبي عاش بين مجموعة من المسلمين في بادية أفريقيا الشمالية الغربية مدة سبعة أعوام، وألف مجموعة من الكتب منها كتاب بعنوان «رياح على الصحراء» وآخر عن النبي محمد ﷺ بعنوان «الرسول».

يقول هذا الرحالة: (في عام ١٩١٨م وليت ظهري العالم الذي عرفته طيلة حياتي، ويممت شطر أفريقيا الشمالية الغربية حيث عشت بين الأعراب في الصحراء، وقضيت هناك سبعة أعوام، أتقنت خلالها لغة البدو، وكنت أرتدي زيهم، وآكل من طعامهم، وأتخذ مظاهرهم في الحياة، وغدوت مثلهم أمتلك أغناماً وأنام كما ينامون في الخيام، وقد تعمقت في دراسة الإسلام، حتى أنني ألفت كتاباً عن محمد ﷺ عنوانه «الرسول» وقد كانت تلك الأعوام أمتع سني حياتي وأحفلها بالسلام والاطمئنان والرضا بالحياة.

وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق، فهم بوصفهم مسلمين يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذاً سهلاً هنياً، فهم لايتعجلون أمراً، ولايلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقاً على أمر، إنهم يؤمنون بأن «ما قدر يكون» وأن الفرد منهم «لن يصيبه إلاّ ما كتب الله له» وليس معنى هذا أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي، كلا!.

ودعني أضرب لك مثالاً لما أعنيه: هبت ذات يوم عاصفة عاتية حملت رمال الصحراء وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمت بها وادي «الرون» في فرنسا وكانت العاصفة حارة شديدة الحرارة، حتى أحسست كأن شعر رأسي يتزعزع من منابته لفرط وطأة الحر، وأحسست من فرط القيظ كأنني مدفوع إلى الجنون، ولكن العرب لم يشكوا إطلاقاً فقد هزوا أكتافهم وقالوا كلمتهم المأثورة «قضاء مكتوب».

لكنهم ما أن مرت العاصفة حتى اندفعوا إلى العمل بنشاط كبير، فذبحوا صغار الخراف قبل أن يودي القيظ بحياتهم، ثم ساقوا الماشية إلى الجنوب نحو الماء، فعلوا هذا كله في صمت وهدوء دون أن تبدو من

أحدهم شكوى، قال رئيس القبيلة الشيخ: «لم نفقد الشيء الكثير، فقد كنا خليقين بأن نفقد كل شيء، ولكن حمداً لله وشكراً فإن لدينا نحو أربعين في المائة من ماشيتنا، وفي استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد».

وثمة حادثة أخرى: فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يوماً فانفجر أحد الإطارات، وكان السائق قد نسي استحضار إطار احتياطي، وتولاني الغضب، وانتابني القلق والهم، وسألت صحبي من الأعراب «ماذا عسى أن تفعل؟» فذكروني بأن الاندفاع إلى الغضب لن يجدي فتيلاً، بل هو خليق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق، ومن ثم درجت بنا السيارة وهي تجري على ثلاث إطارات ليس إلاّ، لكنها ما لبثت أن كفت عن السير، وعلمت أن البنزين قد نفذ، وهنالك أيضاً لم تثر ثائرة أحد من رفاقي الأعراب، ولا فارقهم هدوءهم، بل مضوا يذرعون الطريق سيراً على الأقدام وهم يترنمون بالغناء!.

قد أقنعتني الأعوام السبعة التي قضيتها في الصحراء بين الأعراب الرحل، أن الملتاثين ومرض النفوس والسكريين، الذين تحفل بهم أمريكا وأوروبا، ما هم إلاّ ضحايا المدنية التي تتخذ السرعة أساساً لها.

إنني لم أعان شيئاً من القلق قط، وأنا أعيش في الصحراء بل هنالك في جنة الله، وجدت السكينة والقناعة والرضا، وكثيرون من الناس يهزأون بالجبرية التي يؤمن بها الأعراب ويسخرون من امتثالهم للقضاء والقدر، ولكن من يدري؟، فلعل الأعراب أصابوا كبد الحقيقة، فإني إذ أعود بذاكرتي إلى الوراء، وأستعرض حياتي، أرى جلياً أنها كانت تتشكل في فترات متباعدة تبعاً لحوادث تطرأ عليها، ولم تكن قط في الحسبان أو مما أستطيع له دفعاً، والعرب يطلقون على هذا اللون من الحوادث اسم «قدر» أو «قسمة» أو «قضاء الله» وسمه أنت ما شئت.

وخلاصة القول: إنني بعد انقضاء سبعة عشر عاماً على مغادرتي الصحراء، ما زلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقابل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بالهدوء والامتثال والسكينة، ولقد أفلحت هذه الطباع

التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير)[1].

فإذا كانت نفحة من نفحات الإيمان بالقضاء فعلت بهذا الرجل ما فعلت على الرغم من الشوب الموجود في كلامه مثل تسمية القدر «جبراً»، فكيف لو ضارع هذا إيمان بالله تعالى؟.

والمقصود من كل هذه الإيرادات أن هناك من الغربيين من عرف بتجربته العلمية أو العملية أن القضاء والقدر حقيقة وليس خرافة كما يقول مقلدة المذهب الإلحادي من العرب، ولست في إيرادي هذه الأقوال أريد إثبات حقيقة قاطعة يقينية، بقدر ما أريد أن أبين أن أتباع المذهب الإلحادي في غمرة انغماسهم في تقليد الماديين الملحدين الغربيين عموا وصموا عن رؤية وسماع أقوال أخرى وتجارب أخرى هي أقرب في لهجتها وطرحها إلى الصدق والتجرد والموضوعية.

ومن هذا المنطلق تبدو لنا إحدى مشكلات الحداثة العربية المعتمدة في تقليدها على نظرة آحادية جامدة مصوبة نحو فلاسفة وأساتذة المادية والإلحاد، مغفلة بجهل أو تجاهل أي أقوال أخرى، بل بلغ ببعضهم التطرف الإلحادي أن اعتبر مقولات بعض الغربيين الذين أسلموا أو الذين امتدحوا بعض عقائد الإسلام؛ اعتبروها تخلفاً ورجعية وانتكاسة، وقد مرت معنا بعض أقوال محمد أركون، التي انتقد فيها موريس بوكاي في دراسته للكتب السماوية وترجيحه وتقديمه للقرآن على ما سواه، وأقوال الطيب تزيني عن رجاء جارودي، حيث ألف كتاباً عنه يناقش فيه إعلانه الدخول في الإسلام الذي عده «ردّة»!!.

ومن الأقوال الشنيعة قول النصراني أنسي الحاج الحداثي الملحد:

(يا الله، أتحب حجتك للإنسان أكثر أم حكمتك؟

---

(١) دع القلق وابدأ الحياة لديل كارنيجي: ص ٢٩٠ ـ ٢٩٢ تعريب عبدالمنعم محمد الزيادي، وهذه التجربة نقلها كارنيجي عن ر. ن. س. يودلي.

هل أنت أسير حكمتك، قضائك وقدرك؟

ولايكسر طوقهما، ولايحرر منهما، إلاّ المعجزة إجباري

إياك بالصلاة أو بتحريكي شعورك بالذنب

أو بأي شيء آخر، على اجتراح المعجزة؟

المعجزة هي منك أم ضدك؟ من أنت يا الله!؟)[1].

ويقول أيضاً: (المعجزة، التي هي ترجمة للقوة الخارقة للمشيئة الإلهية، هي في الوقت ذاته دليل إلى ألوهية الإنسان)[2].

سبحان الله وتعالى وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

وفي مناقشة غبية سخيفة أجراها العلماني الملحد، الحداثي اللبناني «عادل ظاهر» في ندوة الإسلام والحداثة، عن الإسلام والعلمانية حيث تكلم عن الإسلام بجهل فاضح وتحامل واضح، وعن العلمانية بتقديس وتأليه، مما يؤكد أن العلمانية أضحت وثناً يعبد من دون الله تعالى، وثناً اعتبارياً يتمثل في منهج طاغوتي يُتَّبع ويخضع له في ذلة وانكسار.

ومن أقوال هذا المتردي قوله: (... إن إصرار منظري الصحوة على جعل السياسة بعداً جوهرياً من أبعاد الإسلام هو بمثابة إصرار من قبلهم على أن الأحداث التي رافقت نشأة الإسلام ما كانت لتجري إلاّ كما جرت عليه، ولم يكن حتى الله يملك في أن يغير في مجراها...)[3].

أمَّا كون السياسة من الإسلام فهذا حق أصيل، وحقيقة ثابتة وإن رغمت آناف كل العلمانيين والماديين الذين لايستطيعون مهما حاولوا أن يجعلوا الإسلام كهنوتاً كما فعل أساتذتهم الغربيون!!.

أمَّا إصرار السلف على أن الأحداث ما كانت لتجري إلاّ كما جرت

---

(١) مجلة الناقد، عدد ١٨ كانون الأول ١٩٨٩ م/ ١٤١٠ هـ: ص ٨ ـ ٩.

(٢) خواتم: ص ٦١.

(٣) الإسلام والحداثة: ص ٧٨ ـ ٧٩.

عليه، فهذه عقيدة كل مسلم يؤمن بالله تعالى من السلف والخلف كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[1].

ووصف العلماني الجاهل هذه العقيدة بأنها إصرار من قبلنا يدل على مقدار الجهالة بالإسلام وعقائده وتاريخه وواقعه، كما يدل على أنه يجحد قدر الله تعالى وقدرته على إجراء الأحداث والوقائع وفق مشيئته ـ جلَّ وعلا ـ.

أمَّا وصفه للسلف بأنهم مع عقيدتهم في القدر يرون بأن الله لايملك أن يغير مجرى الأحداث، فهذا كذب وافتراء على عقيدة السلف وأتباعهم إلى يوم القيامة، ويكفي في الدلالة على عمق الجهالة والاستخفاف بعقول الناس والكذب الصريح، ما في هذا النص من مغالطات وأكاذيب تدل بجلاء على نوعية الخصومة التي يرفع الحداثيون والعلمانيون لواءها ضد الإسلام وأهله.

ولو أني بليت بهاشمي ... خؤولته بنو عبد المدان
لهان عليّ ما ألقى ... ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني[2]!!

فلا عقول يُمكن مناظرتها، ولا احترام للحقيقة يُمكن الاستمساك بها، إضافة إلى الكذب العلمي والافتراء الفكري على أقوال المناوئين!!.

وعلى غرار أسئلة أنسي الحاج الشكية الإلحادية التي سبق آنفاً نقلها، نجد صلاح عبدالصبور يطرح أسئلة على لسان أحد شخصيات مسرحية «الحلاج» حيث يقول:

(يا حلاج

الشر قديم الكون

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الحديد.

(٢) البيتان قائلهما دعبل الخزاعي، وقيل: زياد بن عبيدالله الحارثي. انظر: ديوان دعبل: ص ١٥٧، والكامل للمبرد ٢/ ٩٨٠، وأخبار أبي تمام للصولي: ص ٣٩.

الشر أريد بمن في الكون

كيف يعرف ربي من ينجو ممن يتردى؟)[1].

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[2].

ويصوغ صلاح عبدالصبور نفيه للقضاء والقدر في صيغةٍ تمريضية «قيل لكم» وأخرى تشكيكية «فيما رواه الناس»، وذلك في قوله:

(وقيل لكم:

بأن حياتكم جسر، وأن بقاءكم مسطور

خطى تخطى بميقات إلى دار ببابين

نطوف بها كومض شعاعة العين

وأن العاقل المبرور من يحيا بلا زاد

ليجمع زاد رحلته

لأن وراء هذه الدار فيما قد رواه الناس

شطوطاً طاميات موجها ديجور)[3].

ثم يواصل في وصف المعاد بالصورة التشكيكية الموصلة إلى النفي المحض، ولكنه لم يكتف بذلك بل أعقب هذا الهراء بقول يؤكد فيه أنه يرى القدر والمعاد زيفاً وقولاً ساقطاً اعتلى مكانة بين الناس بسبب الترديد، فيقول:

(أقول لكم بأن الزيف قد يقتات بالفطنة

وسقط القول قد يعلو بأجنحة من الترديد)[4].

---

(١) ديوان صلاح عبدالصبور: ص ٤٧٤.

(٢) الآية ٧٠ من سورة الحج.

(٣) ديوان صلاح عبدالصبور: ص ١٦٧.

(٤) المصدر السابق: ص ١٦٨.

ولنزار قباني خوض واسع في المستنقع الآسن «نفي القدر» ومن ذلك قوله:

(أنا رجل بلا قدر

فكوني.. أنت لي قدري

وأبقيني على نهديك

مثل النقش في الحجر)[1].

وهذا بعض كبره واستكباره الدنيء البذيء على الله مالك الملك، ونحوه قوله:

(مشيئة الأقدار لاتردني

أنا الذي أغير الأقدار)[2].

ومراده نفي القدر وأنه لايخضع لسلطانه، بل هو الذي يغير القدر، ويقال لهذا الصغير المتطاول: إذا جاءك الموت فلاتقبل به وردّه إن استطعت!!.

أمَّا تعبيره بمشيئة الأقدار فسوف تأتي مناقشة ذلك في هذا الفصل عند الكلام على أن الأقدار لاتضاف إليها الصفات والأفعال الاختيارية، وهذا القول من الجهل الفاضح باللغة والمعاني، ودلالاتها، ومثله في نفي القدر مع إضافة المشيئة له مع نفي مشيئة الله القادر العليم، قول الشيوعي الفلسطيني سميح القاسم:

(ومشيئة الرحمن والأقدار

بعض من نفايات القرون!)[3].

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني ١/ ٦٥٤.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٢٩.

(٣) ديوان سميح القاسم: ص ٣٢٣.

وتالله إن العقيدة الحداثية والفكرة الماركسية هي التي من نفايات القرون، إذ أنها في جوهرها امتداد لأقوال الكفار والمشركين الأوائل.

وليس هذا فحسب بل هذه العقائد الجاهلية المعاصرة جزء من نفايات هذا العصر، وحسبك ما وصلت إليه الشيوعية من اضمحلال وانتهاء، بعد تفتت دولة الإلحاد «الاتحاد السوفيتي» وتحطم المنجل والمطرقة التي سجد لوثنيتها سميح القاسم وأمثاله من الماركسيين العرب!!.

ومن أقواله الجاحدة للقضاء والقدر، وعلى طريقة صلاح عبدالصبور المشار إليها آنفاً، قوله:

(كنت طفلاً، آنذاك..

علموني أن مجرى الأرض في كف السماء

علموني أنه سبحانه يحيى ويفني مايشاء

علموني أن أطيع الأولياء

دون أن أسأل: من كانوا؟.

وماذا صنعوا للتعساء؟!

علموني الدجل والرقص على الحبل

وإذلال النساء

علموني السحر والإيمان بالأشباح

والرقية والتعزيم

والخوف إذا جاء المساء!

علموني مايشاؤون، ولم يستنبئوني ما أشاء

فرس الخضر.. كفيل بي

وحسبي الفقهاء!!

يا أبي المهزوم.. يا أمي الذليلة!
إنني أقذف للشيطان، ما أورثتماني
من تعاليم القبيلة!
إنني أرفضها تلك الطقوس الهمجية
إنني اجتثها من جذرها
تلك المراسيم الغبية
إنني أبصق أحقادي وعاري
في وجوه الأولياء الصالحين
إنني أركل قاذورات ذلي وانكساري
للتكايا والدراويش
وأقزام الكراسي النابحين!
إنني أصرخ من قعر جحيمي:
يا وحلاً لصقت في نعل تاريخي العظيم
إنني أحكم بالموت عليك)[1].

وهذا السباب والشتائم العلمانية دليل على مقدار المخزون التربوي الذي يتمتع به هؤلاء!، ولست بصدد الرد على هذه الألفاظ السوقية الرخيصة، ولكني أريد أن أقول للمغفلين أو المستغفلين من أبناء المسلمين هذا نموذج للحداثة العربية، في العقيدة والهوية والأدب!.

أليس من العار عليكم إن كنتم تؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً أن تدافعوا عن هؤلاء أو تغضوا الطرف عنهم أو عن تلامذتهم الذين سودوا الصحف والمجلات في الثناء والإشادة والدعاية لهؤلاء الملاحدة؟!.

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

فإن لَمْ تندفع في أعراقكم الحمية للإسلام فلا أقل من أن تسكتوا عن الدفاع والمدح، أما أن تدافعوا أو تحاولوا الجمع بين الأقوال وإمساك العصا من النصف، فهذا غير لائق بكم ولابدينكم إن كنتم أهل دين وإيمان!.

ويقول الفيتوري:

(ولئن القدر السيد عبد يتأله

والنبوات مظله

والديانات تعله

هب من كل ضريح في بلادي

كل ميت مندثر

كل روح منكسر

ناقماً على البشر

كل أعداء البشر

كافراً بالسماء، والقضاء والقدر)[1].

ويقول:

(إن الأجراس الوثنية

والأقدار الكهنوتية

أكلتها نار الحرية

ما أبقت منها غير دخان

فاكتب يا جبار الأحزان

اكتب عن فجر البشرية

---

(١) ديوان الفيتوري ١/١١٣.

عن آخر أيام الطغيان)[1].

ويقول عبدالرحمن منيف في مدن الملح: (... في هذه الحياة كل شيء قسمة، كل شيء صدفة، وعلى الإنسان الذكي ألا يفوت الفرصة)[2].

أمَّا رواية «ليلة القدر» للطاهر بن جلون فقد ملأها بما أسماه أحد المادحين له وللرواية في مجلة الناقد، بالانتهاك والانتقام من الماضي، على حد تعبير الناقد المادح (يمعن بن جلون في لعبة الانتهاك وكسر الممنوع والهذيان)[3]، (يكتب بن جلون ليلة القدر كي ينتقم من الماضي في استمراريته ومن الواقع المغلق)[4].

وقد حصل بن جلون بهذه الرواية على جائزة «غونكور» الفرنسية وهي أكبر جائزة أدبية تمنح في فرنسا[5]، وهذه الجائزة شهادة على مدى الانسجام الفكري والثقافي والاعتقادي مع مضامين الثقافة والقيم الفرنسية الفرنكفونية!!.

وهذه الرواية مليئة بالضلال الاعتقادي والفساد الخلقي؛ ولذلك استحق عليها هذه الجائزة ونالت اهتمام الملاحق الأدبية الحداثية، ومن هذه الضلالات في باب القدر، قوله: (لقد أبعدت الصدفة والقدر المرض عن الدار كان التيفود يختار جيراننا القريبين من بيتنا ويتلافى دارنا مواصلاً عمله المميت... وقد عملت فكرة إنجاب هذا الطفل، ولو أنهما مخالفة للمشيئة الإلهية على تغيير حياتي...)[6].

فهذا جحد صريح لمشيئة الله النافذة، وإنكار للقدر وكفر بالله القادر العظيم، القائل: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

(١) المصدر السابق ١/ ٣٦٧.

(٢) مدن الملح ٥ ـ بادية الظلمات ص ٧٢.

(٣) (٤) (٥) الناقد ـ العدد ٨ شباط ١٩٨٩ م/ ١٤٠٩ هـ.

(٦) ليلة القدر: ص ١٩.

فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[1]، ولكن الإلحاد إذا غطى على العقول ودنس القلوب فإنها لاتوقن بهذا ولاتؤمن به ولاتستجيب له ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾[2].

وأشد منه جحداً وأظهر منه كفراً وأبشع مضادة لدين الإسلام ما كتبه الملحد علاء حامد في روايته «مسافة في عقل رجل» وهو كلام كثير مكرور في غاية الهبوط والتخلف، ومنه قوله: (... هل الإنسان مسير.. أي ليست له إرادة في تسيير دفة أموره.. وأنه ليس سوى منفذ لقدره المكتوب.. فالإيماءة والابتسامة والغضبة والكلمة حتى تحريك الحاجبين لمغازلة امرأة فاتنة، كلها كتبت بمداد مجهول في صفحة مجهولة تسمى القدر، وبالتالي فإن محاولات الإنسان للتحضر والرقي لن تجد لها صدى سوى ما كتب بمداد هذا القدر المجهول، بالمعنى الشائع، «المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين» إن هذا الكلام مهما اكتسب من قدسية نتيجة تداوله، والإيمان به باعتباره إحدى القضايا الإلهية التي لايجوز الاقتراب منها أو المساس بها، لهو أشبه بتلك الألغاز التهويمية من شياطين وجن أحمر وأسود وأخضر وإبليس ورقيب وعتيد وعوالم ما بعد الموت، لماذا؟.

أولاً: لأن القدر يعني أن الإنسان يسير في فلك أعمال وأقوال كتب عليه أن يفعلها، بل ونتائج حكم عليه بها، وهذا ببساطة شديدة أن كفاح الإنسان مهما عظم شأنه فهو مرتبط بنتيجة سبق رصدها، القدر لاتغيير فيها ولا تبديل...

ثانياً: أن القدر يعني رفض علاقة السببية بين الفعل ونتيجته، فلا ارتباط بينهما بل انفصام كامل... فالنتجية لاتحدث بسبب الفعل، بل تخضع لمشيئة القدر، يحددها بالصورة التي يرتئيها، فسقوط المطر ليس سببه نظرية علمية، بل إرادة القدر والتي يكون من أحد حوافزها ابتهال الناس ودعواهم، وشروق الشمس وغروبها ليس منشأة دوران الأرض حول

---

(١) الآية ٨٢ من سورة يس.

(٢) الآية ١٨ من سورة البقرة.

نفسها، بل في المقام الأول هو مشيئة القدر، فلو غير القدر تلك المشيئة لوجدنا الشمس تشرق في الغرب وتنام في الشرق، والموت صفحة مكتوبه لاتغيير فيها ولا تبديل، فمن أتى أجله يأتيه الموت ولو كان في بروج مشيدة من الصحة والعافية بلا أسباب ظاهرة أو خفية، يأتيه عزرائيل يحمحم حوله ويلف ويدور، ثم يطعنه هذا الملعون طعنة نجلاء، فإذا هو جثة هامدة ترفرف كالطير الذبيح فوق الأرض...

ثالثاً: أن تطبيق تلك القاعدة هكذا بلا ضوابط يعني في النهاية غيبة القانون الكامل الذي يحكم الكون، بمعنى أنه إذا كان للقدر اليد الطولى فلن يتم ذلك من خلال غيبيات غير مفهومة وبالتالي يصبح القدر رمزاً للنتائج التي لاتحكمها أسباب أو مسببات، فهي تأتي كما يشأ القدر وفي أي وقت يشأ، وتصبح هكذا رمزاً لفوضى ليس مكانها سطور قانون كامل استنبت في أرضه بذور المنطق.. وشجرة العقل بل تهويمات وخرافات.

رابعاً: الله لايتدخل في حياة كل فرد تدخلاً مباشراً ليرسم له لوحة حياته بما فيها من ألوان باهتة وزاهية، وخطوط متعرجة ومستقيمة وظلال وضباب وأضواء، بل الأقرب إلى العقل القول أن الإنسان يجري ويلهث ويأثم ويبتسم ويغضب ويضرب في الأرض بلا هدى، ويصل بعقله للنظريات العلمية ويحرك السحب والمطر، كل هذا من خلال قانون كامل متكامل، هذا القانون ليس قدراً، ولكنه قانون يحكم هذه الأكوان، هذا القانون لايرسم لكل شخص حياته، ماذا يأكل، وماذا يشرب، ومن يعشق ومن يكره، لكنه قانون عام شامل له نظرياته العلمية والاقتصادية والإنسانية كل فرد تجرى شؤونه من خلال هذا القانون الذي لم يكتشف الإنسان بعد من فروعه سوى القدر اليسير، هذا القانون لا مكان فيه للحظ المطلق، ولا مجال فيه لتحديد عمر الإنسان إلاّ إذا كان من خلال أحد قوانين العلم، مريض السرطان الذي يحدد الطب آفته ووقت وموته، هذا التحديد ليس ناتج القدر أو جنينه، بل سببه قوانين العلم التي أصبح في مكنتها تحديد نوع الجنين الذي كان يعتبر في وقت من الأوقات إحدى المعجزات التي لم يسر بها الله لمخلوق!! ومن منطلق نقولات شائعة «لايوجد دابة على الأرض إلاّ

وعلى الله رزقها» «ربك يفرجها» «تجري جري الوحوش وغير رزقك ما تحوش» «لن يصيبنا إلاّ ما كتب لنا» «الأعمار بيدالله» «اعقلها وتوكل» من هذا المنطق العاجز الكسيح بدأ بعض الناس يدمن الكسل أملاً في جنة أرضية تأتيه من حيث لايدري. . .)[1].

هذا النص الإلحادي المضطرب اضطراب عقلية صاحبه، واضطراب منهجه ومذهبه، يؤكد لكل مسلم المعنى العميق الشامل الدقيق لقوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾[2].

فالحق واضح، وأدلة القضاء والقدر من نظام الكون ومن أحداث الحياة ومن مجريات الأمور في هذه الدنيا أكثر من أن تحصى، ولكن العقول المنطمسة بالكفر والمادية تأبى كل هذه الأدلة، وتعارض بالباطل والجهل، وتخاصم بالكذب وتستعمل التهكم والسخرية ردءاً لها في المجادلة الباطلة التي يريدون بها ادحاض الحق ومغالبته، وهم حين يفعلون ذلك ـ كما في النص السابق ـ لايبتغون الحق، ولايطلبون الحقيقة، ولاينشدون البرهان وليس لديهم الاستعداد للرضوخ للحق أو الحقيقة أو الدليل إذا اتضحت لهم ـ وهي متضحة جليّة جلاء النهار ـ فلقد جاءهم من الهدى ما يكفي للاهتداء، ولكنهم في غيهم يعمهون، وفي باطلهم يسرعون.

ومن كان هذا موقفه لاتجدي فيه البراهين ولاتنفع فيه الحجج مهما كان وضوحها وكثرتها، فقد تأصل العداء في قلوبهم، وانغرست البغضاء في عقولهم، واستولت عليهم الأوهام والجهالات استيلاء لايسمح له برؤية ضلالهم وتناقضهم، وزيف ما هم عليه، كما لايسمح لهم برؤية الحقائق البينة!!.

---

(١) مسافة في عقل رجل: ص ١٧١ ـ ١٧٣.

(٢) الآية ٥٦ من سورة الكهف.

وهذا النص الذي ذكر فيه علاء حامد عقيدته في القضاء والقدر، تلخيص لعقائد أهل الحداثة في هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، فهم في هذا الباطل مشتركون وهم بين مقل ومكثر.

وله أقوال أخرى تشابه هذا القول[1]، يختمها بالسخرية ممن يحكم على أقواله السابقة بالإلحاد والكفر[2] كما هي عادة أضرابه من الحداثيين الذين يحاولون بإفكهم إبطال أحكام الإسلام كلها، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3].

وفي الكتاب التبجيلي المخصص عن الحداثي النصراني «خليل حاوي» الذي قتل نفسه لما ضاقت نفسه من الأحداث، ولم يكن في اعتقاده إيمان يعصمه من هذا الصنيع البائس، عقد مؤلف الكتاب فصلاً بعنوان «قصيدة البصّارة أو الثورة على الغيب والقدر»[4]، وأسهب في شرح مقاصد ومفردات قصيدة خليل حاوي التي سماها «البصّارة» أي الكاهنة أو قارئة الكف والرمل، ويبين أن خليل حاوي، تمرد في هذه القصيدة على قضية القضاء والقدر باعتبارها من الأساطير المكرسة في الشعب، حسب رأي الشاعر والناقد[5].

وفي كتاب موسوعة الفلكلور والأساطير العربية يقول مؤلفه في المقدمة واصفاً عمله في هذا الكتاب: (... راعيت الاهتمام بالموروثات الروحية الأنزيمية الطقسية وما تقتضيه من ذهن غيبي أو جبري يفضي بدوره إلى آفات القدرية والسلفية، والاعتماد على البركة ـ وتوابعها ـ في مواجهة العلم التجريبي...

حجر زاوية هذا التراث العربي ـ الإسلامي ـ السامي، هو القدرية

---

(١) انظر: المصدر السابق: ص ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤.

(٢) انظر: المصدر السابق: ص ١٧٥.

(٣) الآية ٢١ من سورة يوسف.

(٤) مع خليل حاوي في مسيرة حياته وشعره لإيليا الحاوي: ص ٤٩١.

(٥) انظر: المصدر السابق: ص ٤٩١ ـ ٤٩٥.

ومترادفاتها من جبرية ودهرية ووعيدية، أي الإيمان المفرط في القدرية والوعيدية والدهرية)[1].

فها نحن نرى هنا إنكار القدر والتهكم بالمؤمنين به، مع الخلط الكاذب بين عقيدة القدر التي يثبتها كل مؤمن بالله تعالى، وعقيدة الدهرية التي يعتقدها الملاحدة والماديون، وهذا يكفي في الدلالة على مقدرا عداوة القوم لعقيدة المسلمين، ومع العداوة كذب وسخرية وافتراء وهجاء وسب، وهذا ما سوف يأتي بيانه في الآتي من الكلام.

ثانياً: ذم القدر، والاعتراض عليه، وجعل الإيمان به سبباً للتخلف والتحجر والمهانة والسذاجة:

سبق أن بينا في مواضع عديدة من هذا البحث كيف استخدم الجاهليون الأوائل والمعاصرون أساليب الذم والشتم وإلصاق الألقاب الكاذبة والأوصاف الخاطئة بالإسلام وأهله، وكيف أنهم من خلال أسلوب ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[2]، أغلقوا عقولهم وقلوبهم واستغشوا ثياب أوهامهم للمضادة والمعاندة، وهي طريقة تواصى بها الأقدمون من أعداء هذا الدين القويم، ويتواصى بها خلفهم من المحدثين المعاصرين، تواصياً يعتمد على إيجاب إغلاق العقول والآذان والبصائر عن سماع القرآن؛ لأنه ـ كما يزعمون ـ مجرد خرافة وأساطير، وذلك لعجزهم عن مغالبة حقائقه وتأثيره في أنفسهم وفي نفوس الجماهير ادعوا ـ كاذبين مفترين ـ أن القرآن رمز للتخلف والتحجر والرجعية والأسطورية، وأن القضايا التي أتى بها الوحي المعصوم لاتصلح لهذا الزمان أو أنه يجب تفسيرها وفق أهواء العصر وأخلاطه هذا عند المعتدلين منهم، أمَّا الذين غلوا في الكفر والإلحاد فإنهم يسعون لإقصائه بالكلية وإبادته من الوجود، وكلا الموقفين من الجاهليين المعاصرين من باب ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

---

(١) موسوعة الفلكلور والأساطير العربية لشوقي عبدالحكيم: ص ١٠ ـ ١١.

(٢) الآية ٢٦ من سورة فصلت.

إنها حيلة العاجز الضعيف، نراها مطبقة اليوم في أساليب أهل الحداثة والعلمنة، مهاترات كلامية هابطة، ودعاوى علمانية كاذبة، وافتراءات حداثية عاجزة، يلغون بالقصص والروايات، ويلغون بالشعر الحديث وغير الحديث، ويلغون بالنقد التبجيلي ويلغون بالمؤتمرات والندوات والملاحق والأمسيات والدوريات والمجلات، والأندية الأدبية والثقافية، ويلغون بالبهرج الإعلامي، والإغراءات المادية والمعنوية لذوي النفوس الضعيفة والعقول البسيطة، ويلغون بالصياح والنعيق ضد كل مسلم يتصدى لباطلهم، ويلغون باستعداء ذوي القوة والسلطان، ولكن هذا كله «لغو» زائل، وزبد يذهب جفاء ورماد تطير به الريح، والغلبة للقرآن الذي تواصوا أن يلغوا فيه؛ لأن القرآن العظيم يحمل سر الغلب، إنه الحق، والحق غالب مهما جهد المبطلون، وإنه اليقين، واليقين غالب مهما تكاثرت الشكوك والظنون، وإنه الهدى، والهدى منتصر مهما ادلهمت ظلمات الضياع.

ولست أقول هذا القول لمجرد أنه عقيدة أوقن بها، بل ولأنه مع ذلك هو الواقع الذي شهده المسلمون الأوائل عند ما واجههم الكفار الأوائل بجنس ما يعمله المتأخرون المعاصرون.

وقد انتصر القرآن على لغوهم وباطلهم ومكائدهم المتنوعة وانتشر هداه في أرجاء الدنيا، وسينتصر القرآن اليوم على اللغو الحداثي والمكائد العلمانية والأباطيل الإلحادية، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

والآن نستعرض أمثلة للغو الحداثي في هذا الركن من أركان الإيمان، وبه نستبين مقدار عداوتهم لدين الإسلام جملة وتفصيلاً.

يقول الباطني الوثني الملحد أدونيس:

(من أنا.. أي عُصافَه

تخذت شكل خرافه

---

(١) الآية ٨ من سورة الصف.

وسخ السديم

والموت والعبث الصميم

والمستحيل

كتل من القدر المجلد في شراييني تسيل

صوت: (مختلطاً بالصدى)

ذاك، ذاك الوسخُ

في جبين الناس في كل غدير تسخُ)[1].

ويقول في موضع آخر:

(ماذا؟ أليس عن القدر

نسخ البشر

سفر الوقائع والمصير

وتفكروا وتبصروا

فهنا الحقيقة كالنفاضة لوثت طرف الحصير

وهنا الضحى يتحلزن

فوضى: صباح لايرى وألوهة تتوثن)[2].

ففي المقطع الأول جعل القدر وسخاً يرسخ في جبين الناس، وفي الثاني جعل القدر مجرد نسخ بشرية، ونفاضة ملوثة وصباح لايأتي لايرى. وهي عبارات مهاترة تدل على ما هناك من حقد دفين وضلال مكين.

أمَّا محمود المسعدي، الحداثي التونسي فإنه يجعل الإيمان بالقدر ضيقاً وتحجراً، وذلك حسب النظرية الحداثية الأفاكة، يتحدث واصفاً تتلمذه

---

(١) الأعمال الشعرية لأدونيس ١/ ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٩٢.

على يد الفرنسيين في اعتزاز مهين، ثم يقارن ذلك بثقافته التي نشأ عليها في بلاد المسلمين في انتقاد موجع، فيقول: (انطبعنا على تحديد للإنسان، ضيق متحجر، فنحن من خلق الله وماجاد به الخالق يسيره القدر، أي الله)[1].

وقد سبق نقل كلام جابر عصفور، الذي نعت القدر الذي يؤمن به أهل الإسلام بأنه (جبر ميتافيزيقي يجعل الزمن الدائري هابطاً أبداً...)[2].

ثم يواصل جاعلاً الإيمان بالقدر مهانة وتخلفاً وانحداراً، فيقول: (وإذا كان الإنسان مخلوقاً واهياً لايفارق تكوينه قدرية مساره، ولايفارق مساره جبرية انقياده، فلاسبيل أمامه سوى أن يسلّم زمامه إلى غيره متبعاً، مقلداً، فقدره المقدور في زمانه المحتوم لايعني سوى الوصاية الدائمة على فعله، والتحديد المسبق لمسار قدرته، والتوجيه القبلي لحركة عقله، على نحو يغدو معه هذا الإنسان سجيناً متعدد السجون حركته اتباع لما ليس اختياره، وإبداعه تقليد لما ليس من صنعه)[3].

ولو أردنا أن نسأل جابر عصفور الذي أطلق هذه العبارات المليئة بالاعتراض والذم للإسلام عامة ولعقيدة القضاء والقدر خاصة؛ أن نسأله عن نفسه باعتباره أحد أتباع الفكر الغربي المادي، إلى أي مدى انساق في مساره الفكري نحو الغرب؟ وإلى أي حد وصل عمق الوصاية الفكرية الغربية المادية على عقله؟ وإلى أي نهاية وصلت به الاتجاهات العقلية المستأسرة للغرب؟.

أليست هذه هي السجون الحقيقية التي وضع نفسه فيها؟

أمّا آفاق الإيمان والتوحيد والحق والخير والفضيلة فإنه لايبصرها؛ لأن الطرف الأعمى لايبصر الشمس، والعقل الضعيف لايدرك إلاّ بعض المحسوسات، فلا سبيل أمامه إزاء هذه المقولات المادية التي يتشدق

---

(١) رأيهم في الإسلام: ص ١٥٥.

(٢) (٣) الإسلام والحداثة: ص ١٨٢.

بها، ويجعلها ميزاناً يزن بها أمور العقل والمنطق والحق والبرهان، إلاّ أن يكون في انحدار بهيمي دائم، وانزلاق مادي متواصل يقوده هو وأشباهه نحو الحضيض فكراً وعقيدة وسلوكاً؛ لأن الأساس الذي أقاموا عليه عقيدتهم وفكرتهم هو كما أخبر الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾[1]، وإزاء ذلك وضعهم الله تعالى موضعهم المناسب فقال سبحانه وتعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾[2].

ترى ما القيمة التي يُمكن أن ينطوي عليها إنسان يعيش بهذه التصورات الأرضية والطموحات المادية؟، لا ريب أنه يتحول إلى مخلوق مهين، وإن ادعى أنه متفوق وعقلاني ومتقدم وعصري!!.

فهذا كله من باب ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ فهم وإن تطاولوا وادعوا وتعالموا وتعقلنوا ليسوا إلاّ في حياة حيوانية محضة للأكل والمتاع، في دوامة من الأمل والمطامع يتلهون بها، ويغرون ذواتهم ويخادعون غيرهم، وخاصة حين يظهرون أنفسهم أنهم مفكرون وعقلانيون ومجددون وتقدميون!!.

وفي دوامة هذه الآمال الملهية تمضي أعمارهم وأعمالهم وهم يحاربون الحق بالباطل والحقيقة بالكذب والفضيلة بالرذيلة!.

والأمل الشيطاني البراق يلوح لهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾[3]، ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4].

وإذا تأملت الآمال الحداثية والعلمانية التي غرق في دوامتها هؤلاء

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الجاثية.

(٢) الآية ٣ من سورة الحجر.

(٣) الآية ١٨ من سورة المجادلة.

(٤) الآية ٣٠ من سورة الأعراف.

الإمّعات، وجدت عجباً من أسواق جاهلية تتسمى باسم الثقافة والفن في هيئة ندوات وأندية ومجلات ومؤتمرات ومناهج ومذاهب وأنظمة، ليس فيها ومعها إلاّ الأمل القاتل، يلوح لهم ويشغلهم بالأطماع الكاذبة، ويملي لهم فيحسبون أنهم قد رسخوا في الأرض إلى الأعماق، وأنهم اجتثوا شجرة الإسلام العريقة، وأنهم محصلون مايطمعون إليه لايردهم عنه راد، ولايمنعهم عنه مانع، ولذلك قال الله تعالى عنهم: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ويكتشفون وهم في غاية الحسرة والذل أن آمالهم الرمادية تلاشت وطموحاتهم السرابية تبددت، ولكنهم لايعلمون ذلك إلاّ بعد فوات الأوان.

ويصل خطاب الحداثة إلى تخوم الوثنية الجاهلية حين يصور أنه بمستطاع الحداثي الجاهلي المعاصر أن يتجاوز حقائق الكون الكبرى، ويتخطى نواميس الحياة التي وضعها خالق الحياة، فهم بمثابة الصغير الذي يخيل له أنه بتحريك يديه كهيئة الطير يستطيع أن يبلغ الآفاق، وما لهم من مغزى إلاّ محاربة الدين القويم بأي شكل من الأشكال ولو أظهر ذلك في عته فكري أو تخلف عقلي.

(وكم صدوا عن سبيله صداً، ومن ذا يدافع السيل إذا هدر؟ واعترضوه بالألسنة رداً، ولعمري من يرد على الله القدر؟. وتخاطر له بسفهائهم كما تخاطرت الفحول بأذناب، وفتحوا عليه من الحوادث كل شدق فيه من كل داهية ناب، فما كان إلاّ نور الشمس: لايزال الجاهل يطمع في سرابه ثم لايضع منه قطرة في سقائه، ويلقي الصبي غطاءه ليخفيه بحجابه ثم لايزال النور ينبسط على غطائه)[1].

وأمثل نص يصور هذه الحقيقة ما قاله جابر عصفور: (ومن اللافت للانتباه أن الخطاب المعادي للحداثة لايصل إلى ذروته وأقصى عنفه إلاّ إزاء النص الشعري، الذي يعبث بتصوراته النقلية عن الإنسان، أعني النص الشعري الذي يحرك الرعب الاجتماعي من الحداثة، وينطق رفض المقولة

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ٢/٢٩.

المضمنة عن الإنسان المجبور، فيفجر صورة الإنسان الخانع، الراضي بما قسم له ويستبدل بها صورة إنسان آخر، مختار، مريد، قلق، متوهج برغبته في التجاوز، متهلب بحلمه في الصعود إلى ما ينفي به جبرية سجنه في طقس القدر، وتقليدية معرفته في طقس الوطن. . .)[1].

ومن أمثلة ذم القدر والاعتراض عليه قول نازك الملائكة:

(تفجري يا مياه
تفجري فوق قبور البشر
تفجري في الصخر
وسجلي مأساة هذي الحياة
فوق جبين القدر)[2].

أمَّا البياتي فيجعل الثورة على القضاء مطلباً للحياة، وذلك في قوله:

(فعد لنيسابور
لوجهها الآخر، يا مخمور
وثر على الطغاة والآلهة العمياء
والموت بالمجان والقضاء)[3].

ولنزار قباني مقطوعة بعنوان «خبز وحشيش وقمر» ملأها بالسباب والتهكم بجملة من مقومات حياة المسلمين، الاعتقادية والعملية والثقافية والسلوكية، ومن هذه المقطوعة قوله:

---

(١) الإسلام والحداثة: ص ١٩٣ ثم يستشهد على كلامه هذا بمقطوعة لعبدالله الصيخان بعنوان «كيف صعد ابن الصحراء إلى الشمس» من ديوانه هواجس في طقس الوطن: ص ١٠ حيث اعتبرها جابر عصفور مثالاً للتمرد والثورة على الإسلام والقدر. انظر: الإسلام والحداثة: ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) ديوان نازك الملائكة ٢/ ١٥٩.

(٣) ديوان البياتي ٢/ ٨٠.

(ما الذي يفعله قرص ضياء؟
ببلادي، ببلاد الأنبياء، وبلاد البسطاء
ماضغي التبغ وتجار الخدر
ما الذي يفعله فينا القمر؟
فتضيع الكبرياء
ونعيش لستجدي السماء
ما الذي عند السماء؟
لكسالى ضعفاء
يستحيلون إلى موتى إذا عاش القمر
ويهزون قبور الأولياء
علها ترزقهم رزاً وأطفالاً قبور الأولياء[1]
ويمدون السجاجيد الأنيقات الطرر
يتسلون بأفيون نسميه قدر
وقضاء
في بلادي في بلاد البسطاء)[2].

وتذكر هذه الشتائم بقاموس الشتائم الماركسية والناصرية ضد الإسلام أيام طغيان موجة الاشتراكية في البلاد العربية، وقد زالت الماركسية والناصرية، واجتثت من فوق الأرض بأيدي أبنائها، وسوف تلقى شجرة الحداثة والعلمانية والليبرالية المصير نفسه ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾[3]، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى

(١) قبور الأولياء أو الأنبياء لا ترزق ولا يملك أصحابها لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً، وإقحامه هذه الظاهرة المنافية للإسلام في هذا السياق يدل على جهل بالإسلام الصحيح، أو يدل على خلط متعمد لغرض التشويه والتدنيس.
(٢) الأعمال الشعرية لنزار قباني ١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ و ٣/ ١٩.
(٣) الآية ١٨ من سورة الأنفال.

ٱلْأَرْضَ ﴾[1]، أمَّا السخرية والشتائم فإنها لاتغير من الحقيقة شيئاً بل تدل على إفلاس الشاتم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾[2].

ويقول نزار قباني ذامًّا القدر ومعلناً ثورته عليه وعلى المؤمنين به:

(جميع أقاربي موتى
بلا قبر ولا كفن
أبوح لمن؟ ولا أحد
من الأموات يفهمني
أثور أنا على قدري
على صدأي على عفني)[3].

ويجعل الإيمان بالقضاء والقدر، والقناعة بما كتبه الله سبباً للتخلف والمهانة والهزيمة، وذلك في معرض تباكيه على هزيمة حزيران التي ما كانت إلاّ بسبب التخلي عن الدين ومعاداته ومحاربة علمائه ودعائه، يقول نزار:

(حرب حزيران انتهت
كأن شيئاً لم يكن
لم تختلف أمامنا الوجوه والعيون
محاكم التفتيش عادت والمفتشون...
... ونحن قانعون
بالحرب قانعون والسلم قانعون

---

(١) الآية ١٧ من سورة الرعد.
(٢) الآية ٩٥ من سورة الحجر.
(٣) الأعمال الشعرية لنزار قباني ١/٥٨٨.

بالحر قانعون والبرد قانعون

بالعقم قانعون والنسل قانعون

بكل ما في لوحنا المحفوظ في السماء

قانعون

وكل مانملك أن تقول:

إنا إلى الله لراجعون)[1].

وإضافة إلى سخريته بالقضاء والقدر وجعل الإيمان به سبباً للهزيمة إضافة إلى ذلك أضاف اللوح المحفوظ إلى الخلق إمعاناً في التهكم، واللوح المحفوظ لاتصح إضافته على هذه الشاكلة.

وفي سياق شعوبيته المترعة بكراهية العرب والمسلمين يقول بعد أن سبّ اللغة العربية ومعاجمها:

(حاولت أن أقلعكم

من دبق التاريخ

من رزمانة القدر

ومن قفا نبك

ومن عبادة الأحجار

حاولت أن أفك عن طراودة حصارها

حاصرني الحصار)[2].

أمّا الحداثي اليماني عبدالعزيز المقالح فإنه يعد القدر سجناً، وذلك في قوله:

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١١٩.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٠٦.

(تقدمتُ في موكب الشمس

أطلقته من سجون القدر)[1].

وبنظرة اشتراكية يناقش المقالح ـ باعتراض صارخ ـ تفاوت الناس في أرزاقهم، ويسأل ـ في تذمر ـ لماذا تتفاوت أقدار الناس، فيقول:

(قال خطيب الجمعة:

الناس لآدم... آدم مجبول من طين

كان على مقربة منه ثري يتباهى

وبقربي إنسان محني الظهر حزين

عار يتلوى جوعاً

إن كان الناس لآدم فلماذا

تتفاوت أقدار الأبناء؟

ابن محظوظ! محظوظ!

والآخر مسكين! مسكين!)[2].

أمَّا محمد الماغوط فله أسلوبه الخاص في ذم القدر والاعتراض عليه، وذلك في قوله:

(أين الشفاه التي قبلتها؟

والنهود التي داعبتها؟

كأن القدر يصوب مسدساً إلى ظهري

ويسلبني كل شيء في وضح النهار)[3].

---

(١) ديوان المقالح: ص ٣٥٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٩٣.

(٣) الآثار الكاملة للماغوط: ص ٢٤٦.

وفي قوله:

(لاتصفعني أيها القدر

على وجهي امتار من الصفعات

ها أنا

والريح تعصف في الشوارع

أخرج من الكتب والحانات والقواميس

خروج الأسرى من الخنادق)[1].

وفي قوله:

(والنسيمات الصغيرة تدفعه

من صخرة إلى صخرة

ومن سهل إلى آخر

وهو مشيح عنها، مستسلم لها

كبغيٍّ في معسكر

إنه يحن إلى معركة أخيرة

مع القدر

مع العاصفة

مع ذبابة)[2].

أمَّا محمد الفيتوري فإنه في معرض «زنجيته» يتحدث عن أرض أفريقيا الباكية ـ حسب تعبيره ـ لكونها تحت رحمة البشر وتحت إرادة السماء والقدر، وهي صيغة اعتراض صريحة على القضاء والقدر وتهكم واضح بالدين، وذلك في قوله:

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٢٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٣٠.

(ذات يوم أبصرت أرضي حقول الأنبوس الجارية

وهي تبكي في سكون وضجر

تحت رحمة البشر

وإرادة السماء والقدر)[1].

ولكنه في موضع آخر يصرح بسببه للأقدار قائلاً:

(المأساة الأقدار

كيف أراها.. تلك الأقدار تعذبني

تلك الأشباح القدسية)[2].

أمَّا الوجودي الداعر محمد شكري الذي اعترف في كتبه بألوان من العهر والتفسخ ما لايضاهيه فيه إلاّ رشيد بوجدره ونزار قباني، يقول محمد شكري في روايته «الشطار» في سياق محتشد بالضلال والإلحاد والفساد، ونأخذ منه ما يخص هذا المقام يقول: (لست أدري لماذا يقسو القدر على الطيبين ويحالف الأشرار؟)[3].

هذه النصوص غيض من فيض العفونات الحداثية المترعة بجحد القدر وذمه والاعتراض عليه وجعل الإيمان به تحجراً وسذاجة وانهزاماً.

ثالثاً: التهكم والسخرية والاستخفاف بالقضاء والقدر وبالمؤمنين به:

وهذا كثير جداً في كلامهم، وقد سبقت الإشارة إلى مغزى التهكم والسخرية عندهم، وبيان أنها أسلوب من أساليب أسلافهم من الجاهليين القدماء.

---

(١) ديوان الفيتوري ١/ ١١٠.
(٢) المصدر السابق ١/ ٤١٥.
(٣) الشطار: ص ٧٢.

وسوف أورد هنا جملة من النصوص من أقوالهم التي تؤكد تلبسهم بهذا اللون من الانحراف في عقيدة القضاء والقدر، التي يؤمن بها كل من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً.

فمن أقوالهم، قول رأس طواغيتهم «أدونيس»:

(عائشة جارتنا العجوز مثل قفص معلق

تؤمن بالركام والفراغ والطرر

وبالقضاء والقدر)[1].

وهذه الصياغة المتهكمة بالمؤمنين بالقضاء والقدر من جنس أقوال نزار قباني التي سبق نقل شيء منها، وسيأتي الباقي، ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾[2]، وفي هذا دلالة واضحة على التكرارية والتقليدية التي طالما نقدوها وشنعوا على الشعراء الأوائل بسببها!!.

وقد مرّ معنا في الوجه الثاني من هذا الفصل وصف أدونيس للقدر بأنه وسخ يرسخ في جبين الناس كل يوم[3]، ومرّ في الوجه الأول وصفه للقدر بأنه خرافة[4].

أمّا السياب فإن له قصيدة بعنوان «في المغرب العربي» تطفح بالكفر الصريح والسخرية بالله ـ جلّ وعلا ـ وبالقضاء والقدر وبالنبي محمد ﷺ، وهذه مقاطع منها:

(فنحن جميعنا أموات

أنا ومحمد والله.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس ١/١٦٣. وانظر: الشرح الوثني لهذا الكلام في الحداثة الأولى: ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢) الآية ٥٣ من سورة الذاريات.

(٣) انظر: المصدر السابق ١/١٨٥.

(٤) انظر: المصدر السابق ١/١٩٦.

وهذا قبرنا أنقاض مئذنة معفرة

عليها يكتب اسم محمد والله. . .)[1].

ثم يقول:

(إله الكعبة الجبار

تدرع أمس في ذي قار

بدرع من دم النعمان في حافاتها آثار

إله محمد وإله آبائي العرب

تراءى في جبال الريف يحمل راية الثوار

وفي يافا رآه القوم يبكي في بقايا دار

وأبصرناه يهبط أرضنا يوماً من السحب.

صريحاً كان في إحيائنا يمشي ويستجدي

فلم نضمد له جرحا

ولا ضحى

له منا يغير الخبز والانعام من عبد!

وأصوات المصلين ارتعاش من مراثيه

إذا سجدوا ينزُّ دمُ)[2].

ثم يقول وهو مايخص هذا الفصل:

(أليس هو الذي فجأ الحبالى

قضاه، فما ولدن سوى رماد؟

---

(١) ديوان السياب: ص ٣٩٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

وأنعل بالأهلة في بقايا

مآذنها، سنابك من جواد؟

وجاء الشام يسحب في ثراها

خطى أسدين جاعا في الفؤاد؟

فأطعم أجوع الأسدين عيسى

وبل صداه من ماء العماد

وعضى بني مكة.. فالصحارى

كل الشرق ينفر للجهاد؟)[1].

سبحان ربي العظيم، وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره.

وهذه القصيدة الإلحادية النجسة لها منزلة كبيرة عند الحداثيين ومكانة مرموقة.

ومن أقوال السياب المستخفة بالقدر قوله:

(أود لو عدوت أعضد المكافحين

أشد قبضتي ثم أصفع القدر)[2].

وقوله:

(كأن صياداً حزيناً يجمع الشباك

ويلعن المياه والقدر)[3].

وأمَّا نازك فإنها قد رتعت في هذا المرتع الوخم كثيراً ولها أقوال عديدة منها:

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٥٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٧٦.

(كيف تمضي إلى الغنا والأناشيـ ـيد وتبقى سخرية الأقدار)[1]

ومنها قولها:

(نحن أسرى يقودنا القدر الأعـ ـمى إلى ليل عالَم مجهول)[2]

وقولها:

(يا هموم الشباب فيم تكونيـ ـن أحرَّ الهموم والأحزان
أنت يا من يصوغك القدر الظا لِم على الوجود الفاني)[3]

وقولها:

(أذبلت عمرهم يد القدر الجا ني وكانوا نشيد هذي الحياة)[4]

وقولها:

(تاركاً هذه الحياة وما فيـ ـها من الزيف والأسى والظلم
بين كف الرياح والقدر العا تي ونوح الشيوخ والأيتام)[5]

وقولها:

(يا لظلم الأقدار وكم ماسةٍ حسـ ـناء ظلت في ظلمة الأعماق
كم زهور زجّ بها القدر القا سي بعيداً عن أعين العشاق)[6]

وقولها:

---

(١) ديوان نازك: ص ١/ ٢٥.
(٢) المصدر السابق ١/ ٥٧.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٠٩.
(٤) المصدر السابق ١/ ٢١٩.
(٥) المصدر السابق ١/ ٢٢٤.
(٦) المصدر السابق ١/ ٦٧٧، وهذه الأبيات وما قبلها تفيد التظلم من القدر والتسخط منه والضجر من وقوعه وفي ذلك من مقتضيات الاستخفاف بالقدر والهزء به ما هو جليّ.

(تفجري في الصخر

وسجلي مأساة هذه الحياة

فوق جبين القدر)[1].

وقولها:

يارب الحانة، أين الخمر؟ وأين الكأس؟

ناد الغانية الكسلى العاطرة الأنفاس

أفدى عينيها بالقرآن وبالأقدار)[2].

هذه الأقوال العديدة، كما هو ملاحظ، غاية في الضلال من جهة ما فيها من ذم وسخرية واستخفاف بالقدر، وإذا نظرنا إلى قائلتها باعتبارها من مؤسس الحداثة الشعرية العربية مع السياب والبياتي تبين لنا مقدار الانحراف الذي بدأت به الحداثة، أمَّا تطوراتها الخبيثة بعد ذلك فإنها قد تجاوزت كل الحدود!!.

أمَّا المؤسس الثالث للحداثة عبدالوهاب البياتي فمن أمثلة انحرافاته في هذا الوجه قوله:

(وخواطري مستنقع ركدت ... في قاعه الأعشاب والصور

ودم وأنغام وأخيلة ... بله العيون كأنها القدر)[3]

وقوله:

(قدر كان وراء الغيب يلهو بانطلاقي)[4].

وقوله:

(في قاع الآبار

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٥٩.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٥٢.

(٣) ديوان البياتي ١/ ٦٦.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٨٦.

ما كنت أعري جرحي في الحضرة لولم أفقد عائشة في حان الأقدار)[1].

وقوله:

(فإذا احترق الخيام بنار الحب وأصبح في حان الأقدار حجاباً)[2].

وقوله:

(أعرفها تلك الصحراء المائية ذات الأثداء

وهي تعري سرتها للشمس الحمراء

أعرفها وأراها كل مساء في حان الآقدار)[3].

ولتبعيته للفكر الغربي ذي الجذور اليونانية الوثنية؛ يجعل للأقدار ربات، كما في قوله:

(ربات الأقدار

يرقصن على موسيقى الجاز

في صالة رقص الأمطار)[4].

وقوله:

(ترسم خارطة لعيون المعبودات وربات الأقدار)[5].

أمَّا صلاح عبدالصبور فإنه يجعل من سيماء الناس في بلاده ـ وهم مسلمون ـ السذاجة والبساطة والجهل، ويجعل من علامات ذلك إيمانهم بالقدر!، وذلك في قصيدته الشهيرة «الناس في بلادي» ومنها:

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٤١٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٢٥.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٢٧.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٤٣٠.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٤٣١.

(الناس في بلادي جارحون كالصقور
غناؤهم كرجفة الشتاء في ذؤابة المطر
وضحكهم يئز كاللهيب في الحطب
خطاهمو تريد أن تسوخ في التراب
ويقتلون، يسرقون، يشربون، يجشأون
لكنهم بشر
وطيبون حين يملكون قبضتي نقود
ومؤمنون بالقدر)[1].

ومنها:

(ويطرقون
يحدقون في السكون
في لجة الرعب العميق، والفراغ والسكون
«ما غاية الإنسان من أتعابه، ما غاية الحياة
يا أيها الإله!!
الشمس مجتلاك، والهلاك مفرق الجبين
وهذه الجبال الراسيات عرشك المكين
وأنت نافذ القضاء أيها الإله
كم أنت قاس موحش يا أيها الإله)[2].

قال الأستاذ الدكتور عبدالباسط بدر[3] في دراسته الرصينة لهذه

---

(١) ديوان صلاح عبدالصبور: ص ٢٩.
(٢) المصدر السابق: ص ٣٠ ـ ٣١.
(٣) عبدالباسط بدر، ناقد وكاتب إسلامي عميق المعرفة بالمذاهب الأدبية المعاصرة، ضليع=

القصيدة: (والصورة التي يقدمها تستخدم التضليل المنطقي، وتتكيء على المفهومات المنتشرة بين الفلاحين، وتخدع الفلاحين بمغالطة عجيبة، فهي تبدأ من إيمانهم بالقدر، ثم تدور دورة قصيرة وتعود لتسلخ هذا الإيمان، وتشوه صورة القدر في أذهانهم.

تبدأ هذه الصورة بمناجاة الإله، وبالإقرار الكامل له بالربوبية وملكية الكون ونفاذ القضاء، وحدود الملكية واسعة ترسمها المعالم الطبيعية التي يحس بها كل إنسان، ويحس بها الريفي أكثر مما يحس بها ابن المدنية المكتظة: الشمس الساطعة، والقمر المتألق في سماء صافية، والجبال المطلة على الآفاق.

وتوحي هذه المناجاة لأول وهلة بأن صاحبها على درجة عالية من الإيمان[1]، وأنه يقدم بها لقضية إيمانية تنتهي بالأقرار الأعمق بربوبية الإله، وإظهار آثار قضائه، يتناسب مع مقام الألوهة من حكمة ورحمة.

ولكن الشاعر يتوجه بالعواطف الإيمانية وجهة معاكسة تماماً فمن مقولة نفاذ القضاء ينتقل إلى صورة قاسية لهذا القضاء، صورة تجعل المشاهد والسامع يخلع إيمانه ويتهم المقدر بقسوة القدر «حاشاه سبحانه» . . .)[2].

وليست هذه المعاني الضلالية وحيدة في كلامه بل لها أشباه ونظائر، ومن ذلك قوله:

= في وزنها بميزان العقيدة الإسلامية، له مؤلفات جيدة منها مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ومذاهب الأدب الغربي، وهو من سوريا، عمل مدرساً في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهو عضو فعال في رابطة الأدب الإسلامي.

(١) مع التنبه إلى ما سبق الإشارة إليه في الفصل الثالث من الباب الأول حيث جعل الشمس والهلال مضافة إلى الله باعتبارها من صفاته، وجعل الجبال عرشاً له ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ، وذلك في قوله: (الشمس مجتلاك والهلال مفرق الجبين، وهذه الجبال الراسيات عرشك المكين) وهذا كله ضلال مبين وإلحاد في أسماء الله وصفاته.

(٢) مقدمة في نظرية الأدب الإسلامي: ص ٦٩.

(وفي الليل كنت أنام على حجر أمي
وأحلم في غفوتي بالبشر
وعسف القدر)[1].

وقوله في مسرحية الحلاج:

(الشر قديم في الكون
الشر أريد بمن في الكون
كيف يعرف ربي من ينجو ممن يتردى)[2].

ويقول يوسف الخال:

(حبيبتي معي، جسدي معي، إلهي معي، قم أيها القدر وأفسح لي مكانك)[3].

وهذا استخفاف واضح بالقدر، وليس فوق الكفر ذنب.

وعلى شاكلته وملته ومنهجه، توفيق صايغ القائل:

(عكرت أحلامي
وأفسدت عليّ لذتي
وأعطيتني قلقاً وندامة
وحاسة لأشم
أفلا يكفيك هذا
إلهي، ألا يكفيك؟
معاقب العاصي

---

(١) ديوان صلاح عبدالصبور: ص ٥٩ ـ ٦٠.
(٢) المصدر السابق: ص ٤٧٤.
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة ليوسف الخال: ص ٢٧٠.

جعلت معصيتي عقاباً:

أفأنال عقابين، أين العادل

لدون ما معصية؟

قاضيَّ، لا تصخ سمعك عني

واعذر احتبائي الروب

وزحزحة القيد عن معصمي:

فإن كنت المذنب والمحامي

إن لست قاضيّ والغريم؟

«واغفر إلهي ما أقول»[1].

وهو نص على ركاكته وسقم تركيبه ـ كعادة قائله خاصة الحداثيين عموماً ـ يطفح بالاعتراض والاستخفاف بالله تعالى وقدره، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وعلى المنوال نفسه في الركاكة والضلال قوله:

(هل أندب العالم الذي أضعت؟

هل أشتم القدر الذي اختصر المارد وشوهه؟

هل أكسر القمقم وانفلت؟

أم أقبع فيه راضياً، كما بقصر؟

هل استغيث بسليمان مستسمحاً

أو أنادي: «إلهي ابعث الصياد»؟

أو لن يقول إلهي: «ولماذا تريد الانفلات؟»)[2].

---

(١) الأعمال الكاملة لتوفيق صايغ: ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٣.

ولنزار قباني مقدرة متميزة على السباب الحداثي، بسبب ما قام في نفسه من شعوبية ومادية وشهوانية، تؤزه إلى ميادين الذم والسخرية والاستخفاف؛ لأنها رأس مال المفلسين في الفكر والأخلاق، فمن أقواله المفلسة مخاطباً إحدى خدیناته:

(ماذا أعطيك؟ أجيبيني قلقي؟ إلحادي، غثياني
ماذا أعطيك سوى قدر يرقص في كف الشيطان)[1]

ومثله قوله في استخفاف وتدنيس:

(فاتركي أمرك لله ونامي
إن نهديك يجيئان إلى الدنيا قضاء وقدر
ويموتان قضاء وقدر)[2].

ويكرر المعنى في موضع آخر قائلاً:

(اشربي القهوة ياسيدتي
فالجميلات قضاء وقدر
والعيون الخضر والسود
قضاء وقدر)[3].

ويقول ساخراً:

(العالم العربي غانية
تنام على وسادة ياسمين
فالحرب من تقدير رب العالمين

---

(١) الأعمال الشعرية لنزار ١/٤٠٦.
(٢) المصدر السابق ٢/١٦٣.
(٣) المصدر السابق ٢/٨٣٤.

والجبن من تقدير رب العالمين)[1].

ويقول مستخفاً بالقدر:

(مشيئة الأقدار لاتردني

أنا الذي أغير الأقدار)[2].

ويقول محمود درويش:

(المغنى، على طريق المدينة

ساحر اللحن كالسهر

قال لريح في ضجر:

دمريني مادمت أنت حياتي

مثلما يدعي القدر)[3].

ويقول أيضاً:

(يخيل لي يا صليب يا بلادي

ستحرق يوماً

وتصبح ذكري ووشما

وحين سينزل عنك رمادي

ستضحك عين القدر

وتفز: ماتا معاً)[4].

ويقول أيضاً:

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٣٧.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٢٩.

(٣) ديوان محمود درويش: ص ٨٦.

(٤) المصدر السابق: ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(ورموشي سـنابل تشرب الليل والقدر)[1]

ويقول:

(الحب ممنوع

هنا الشرطي والقدر العتيق)[2].

ويقول:

(وأضافت كأن القدر

يتكسر في صوتها:

هل رأيت المدينة تذهب

أم كنت أنت الذي يتدحرج من شرفة الله.

قافلة من سبايا؟)[3].

وكل هذه الأقوال الردية مليئة ـ كما هو ملاحظ ـ بالاستخفاف بقضاء الله وقدره، مما يدل على ما هناك من عقائد فاسدة مناقضة للإسلام تمام المناقضة.

ومن الأمثلة على هذا أيضاً قول الشيوعي الفلسطيني معين بسيسو:

(العام الموعود العاشر

والملكة كإله خائف

من ضوء المصباح الراجف

تخشى المكتوب ولا دافع

أن ترجم في الشهر التاسع

---

(١) المصدر السابق: ص ١٨٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٩٨.

في العام المرصود العاشر

أن ترجم للموت العاقر)[1].

وسياق المقطوعة كلها تدل على أن مراده بالمكتوب والقضاء واللوح الاستخفاف والتندر وليس الإثبات، وغير غريب على من اتخذ الشيوعية ديناً أن يكون هذا هو موقفه من القضاء والقدر!!.

أمّا عبدالعزيز المقالح فيبلغ به الهزال الاعتقادي أن يسمي القدر مهزلة وذلك في قوله:

(المح وجه «أسود» دميم

يغتصب ابنتي

ينزع عن جبينها الصغير هالة الشعر

اسمع صوته اللئيم

يحفر لاهيا على ظهور أهلنا مهزلة القدر)[2].

ومن أمثلة الاستخفاف قول الفيتوري:

(فارتجفت ثم هوت

تصرخ في وجه القدر)[3].

ومرّ معنا قوله:

(المأساة الأقدار

كيف أراها، تلك الأقدار تعذبني)[4].

---

(١) الأعمال الشعرية لمعين بسيسو: ص ٢١١.

(٢) ديوان المقالح: ص ٣٢٣.

(٣) ديوان الفيتوري ١/ ٣٧٤.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤١٥.

وقول الطاهر بن جلون في رواية «ليلة القدر»: (أي بنيتي! صلّي معي لكي يكتب الله أو القدر أن أموت في حياتك وأن يمنحني شهراً أو شهرين من الحياة بعد موت أبيك! أود أن أتمكن من التنفس لبضعة أيام لبضعة أسابيع في غيابه غياباً مطلقاً)[1].

رابعاً: نسبة التقدير والقدر إلى غير الله تعالى، وزعم القدرة على تغيير مجرى القدر المكتوب:

وهذا من لوازم جحدهم لقدرة الله تعالى، وتأليههم لغير الله سبحانه، وخاصة تأليههم للإنسان، وهي أمشاج من الضلالات وأخلاط من الخرافات، ذلك أن حقيقتهم كما أخبر الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[2].

ومن أدل المواقف على أنهم أحق الناس بهذه الأوصاف ما نراه في كلامهم من مثل قول أدونيس في تلمود الحداثة: الثابت والمتحول: (النظرة الجديدة هي الخروج من قدر الطبيعة والدخول في إرادة الإنسان، هي الخروج من الثبات إلى التحول... هي الإيمان بأن الإنسان قادر على تغيير نفسه والعالم معاً، قادر على صنع التاريخ...)[3].

فليغير أصحاب النظرة الحديثة ما قضاه الله من تتابع الليل والنهار وتتابع الفصول الأربعة!!، وليبطلوا قوانين الكون والحياة الثابتة ليصلوا إلى مجال التحول والتحديث!! وليغيروا ـ إن استطاعوا ـ أقدار الله تعالى في الخلق من إحيائه ـ سبحانه ـ لمن يشاء وإماتته لمن يشاء، وإعزازه لمن يشاء، وإذلاله لمن يشاء!!.

فإذا استطاعوا فإنهم ـ حينئذٍ ـ يستطيعون صنع التاريخ!!.

---

(١) ليلة القدر: ص ٤٠.

(٢) الآية ١٧٩ من سورة الأعراف.

(٣) الثابت والمتحول ٣ ـ صدمة الحداثة: ص ٢٨٣.

وما هم بقادرين على ذلك، بل عجزهم في تغيير نواميس الحياة وقوانين الكون أو تجاوز قضاء الله الكوني فيما قدر وأراد سبحانه وتعالى مثل عجز أوليائهم عن خلق ذباب ولو اجتمعوا له، قال ربنا تبارك اسمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[1].

وما الظن بقوم يكفرون بالله الخالق المدبر، ويؤمنون بالأوثان والأصنام الجاهلية ويجعلونها معياراً للتقدم والقوة ورمزاً للصراع؟ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[2].

ولنأخذ على هذا مثالاً فيما نحن بصدده في هذا المبحث:

يقول أدونيس:

(عائشة جارتنا العجوز يا فينيق، مثل قفص معلق

تؤمن بالركام والفراغ والطرر

وبالقضاء والقدر)[3].

يورد محمد جمال باروت في كتابه الحداثة الأولى، هذا النص الوثني ثم يعقب عليه قائلاً: (يعطي فينيق فراغ العالم، وحياة الإنسان فيه، معنى بالتزامه الوجودي الكياني بـ«سر مهجته»، وهي هنا في النص «التجدد» والتحرر من الهرم الحضاري للذات القومية ـ الحضارة، لكأن فينيق الطائر يتحرر باكتشافه سر التجدد والحرية في ذاته من هذا العالم «عائشة العجوز» الذي ليس إلاّ «مثل قفص معلق» وبهذا المعنى تغدو سيرورة العلاقة في مرجع النص، قائمة على التمرد والانفصال بين طائر «الفينيق» وبين هذا

---

(١) الآيتان ٧٣ ـ ٧٤ من سورة الحج.

(٢) الآية ٢٦ من سورة الفتح.

(٣) الأعمال الشعرية لأدونيس ١/١٦٣.

«القفص المعلق» ومثلما يخنق «الإنسان ـ الجمهور» «الشخص الإنساني» في الوجودية، فإن «القفص المعلق» يخنق الوجود الحر للفرد البطل، الفادي لـ«فينيق»، إن وعي «الشخص» في مثله الجمالية المتعددة هنا، أو في الحقل الدلالي لها هو الذي يقود إلى الاغتراب والنفي عن «الإنسان ـ الجمهور» الذي يعادل عند أدونيس «الحاضر» أي الراهن والسائد، وكل حرية وجودية تقود إلى النفي. . .)[1].

ثم يورد قولاً لزوج أدونيس المسماة خالدة سعيد، ثم بقية أقوال أدونيس في المناجاة العبادية لأدونيس، ثم يقول: (هكذا يندغم المؤثر الوجودي كتجربة كيانية، وليس كمؤثر «دوغماتي» في المثال الجمالي التموزي، حيث يعطي «فينيق» معنى لحريته بفعله الحر والداعي في هذا العالم «الفارغ، القفص، القضاء والقدر» الذي ينفيه ويمحقه)[2].

فهل هناك أصرح وأوضح من هذه الألفاظ الصارخة بالوثنية الجاهلية؟ وهل هناك أي حجة للذين يقولون إن هذه الوثنيات مجرد رموز لها إشعاعات فنية، وليست مرتبطة بعقيدة مّا أو مضمون أو مقصد أو غاية؟.

وإن من السذاجة وخبال العقول أن تجد مثل هذه الأقاويل الخادعة منفذاً لها إلى بعض الأناسي الذين لايعلمون، ولايعلمون أنهم لايعلمون!.

ها هو أدونيس ـ بإقرار باروت ـ يقرر أن فينيق الوثن الجاهلي ينفي العالم وما فيه من قضاء وقدر، ويغيره! فأين تكون الوثنية إن لم تكن هذه؟!.

ومن العجائب أن قضايا التفجير والتجديد مرتبطة عند أدونيس، وعند باروت الشارح، وعند أتباع الحداثة، مرتبطة بالوثنية الجاهلية القديمة مثل فينيق وأدونيس وبرومثيوس سارق النار وغيرهم، ومرتبطة بالوثنية الجاهلية الحديثة المتمثلة في مناهج ومذاهب فكرية تدور في التخوم الوثنية وتتلبس بها وتنسجم معها غاية الانسجام!.

---

(١) (٢) الحداثة الأولى: ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

ومن جنس هذه الأقوال التي يزعمون فيها أنهم بالوثنية الحداثية قادرون على نفي القدر وإبعاده بقدر حداثي، يستطيع تغيير مجرى القدر المكتوب، والقضاء الكوني الكائن، قول جابر عصفور السابق نقله في سياق امتداحه لمقطوعة حداثية لأحد أتباع الحداثة المحليين، يقول عصفور: (النص الشعري الذي يحرك الرعب الاجتماعي من الحداثة، وينطق رفض المقولة المضمنة عن الإنسان المجبور، فيفجر صورة الإنسان الخانع، الراضي بما قسم له، ويستبدل بها صورة إنسان آخر، مختار، مريد، قلق، متوهج برغبته في التجاوز متلهب بحلمه في الصعود إلى ماينفي به جبرية سجنه في طقوس القدر)[1].

وفي وقفة سريعة مع هذا الادعاء الضخم الذي طالما تشدق به الحداثيون في مقولاتهم وكرروه حتى الإملال، يُمكن القول بأن زعمه بأن النص الحداثي الشعري يرفض مقولة الإنسان المجبور، وهو يعني بذلك ـ حسب فهمه الجاهلي ـ الإيمان بالقضاء والقدر، وتجاوزاً لهذه الفرية، نقول بأن الحداثي قد أدخل نفسه في إطار من الجبرية الفكرية والسلوكية، لاينفك يردد عباراتها مثل حتمية التطور والتقدم، وحتمية التجديد والتحديث، وحتمية صراع الطبقات، وغير ذلك من الحتميات الجبرية التي التزموا بها وأثرت فيهم غاية التأثير، وأعظم حتمية جبرية أخذتهم إلى مسارات لازمة، قولهم بنفي وجود الله تعالى، أو قولهم بنفي ألوهيته، وهم يظنون بناء على هذه الحتميات أن ذلك هو أساس التقدم والنمو والازدهار!!.

وقوله بأن الشعر الحداثي يفجر صورة الإنسان الخانع قول مفترى، إلاّ فيما يخص خضوع الإنسان لربه وخالقه وإلهه وهاديه، وهذا هو مراده من هذا القول القبيح وهو مراد أصيل لجميع الحداثيين، بيد أنهم لم ينفكوا عن الخنوع والخضوع، فلقد خنعوا لإفرازات المذاهب الأرضية، وخضعوا للتصورات الجاهلية، وقائل هذا النص من أوضح الأدلة على ذلك، فهو لم يَعْدُ قدْرَه في تقليد ومحاكاة أساتذته العلمانيين والماديين، ولم يتجاوز

(١) الإسلام والحداثة: ص ١٩٣.

مذاهبهم وآراءهم إلاّ بمقدار مايسمح التابع للمتبوع، ولكن الاستكبار الجاهلي يغطي على عيونهم وبصائرهم، فيحسبون أنهم على شيء وليسوا إلاّ على أكوام من الرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[1].

أمَّا قوله عن الإنساني الحداثي بأنه مختار مريد قلق متوهج برغبته في التجاوز الفكري فهذا مثال لاختياره ضمن إطار التابع والمتبوع، والغالب والمغلوب، أمَّا أنه مريد، فنعم يريد الشر والرذيلة والجاهلية فهو إذن «مريد» تمرد على الحق والخير والهدى، واستلقى تحت أقدام أسياده متوهج برغبته في التجاوز!!.

نعم تجاوز حدود العقل بالفوضوية الفكرية، وحدود المنطق بالعشوائية المنهجية، وحدود الحق بالأباطيل الجاهلية، وحدود الفضيلة بالرذائل الخلقية.

قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[2].

وهل هناك أعظم من الغي الذي يجعل غاية منهجه ومسعاه الصعود إلى ما ينفي به سجنه في طقس القدر؟ ـ حسب قول جابر عصفور في النص السابق ـ أو قوله في نص آخر عن الإنسان الجديد الذي سيكون في مواجهة صدامية حتمية مع القدر[3]؟ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ﴾[4].

---

(١) الآية ٢١ من سورة الفرقان.

(٢) الآية ١٤٦ من سورة الأعراف.

(٣) انظر: الإسلام والحداثة: ص ١٩٤.

(٤) الآية ٥٦ من سورة غافر.

هذا المخلوق الضعيف يزعم أنه يصادم القدر، وهذه الآية أوضح تصوير لهذا الذي ينسى أنه كائن صغير لايستمد وجوده ولا حياته من قوته وذاته، ولكنه حين ينفصل عن منهج الله ودين الله وينقطع اتصاله بالحق المبين والهدى المستبين تراه ينتفخ ويتورم ويتشامخ ويتعالى في كبر وصلف أجوف، مقلداً أستاذه الأول إبليس الرجيم الذي تكبر على أمر الله فأناله الله خزي الدنيا والآخرة، وترى هذا الكائن الحقير يجادل في آيات الله ويكابر ثم يزعم أنه إنّما يناقش لأنه لم يقتنع، ويجادل لأنه غير مستيقن ولكن ما ثم إلا الكبر، والتطاول إلى ما هو أكبر من حقيقته، والتعالي إلى أخذ مكان ليس له، ولا تؤهله له قدراته، وهو لا يمتلك على ذلك أدنى سلطان من برهان أو دليل من نظر عقلي أو حسي، إنّما هو ذلك الكبر وحده، والانتفاش والتورم الذي يخفي تحته الفراغ والمرض، هؤلاء هم أهل الحداثة الذين يزعمون مصادمة القدر الرباني، ويدعون القدرة على صياغة الإنسان والحياة والأقدار كما يريد ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[1].

تعاظمت عندهم أنفسهم فاستكبروا وانتفخوا وطغوا طغياناً كبيراً، وتضخمت مشاعرهم نحو ذواتهم حتى شغلهم ذلك عن رؤية الحقيقة وتقديرها، والناظر في كلامهم يجد أنهم بلغوا مرتبة من الاستكبار لم يعودوا يحسون فيها إلاّ بأنفسهم الجوفاء، ومذاهبهم الفارغة فراغ عقولهم، حتى ليحسبون أنهم ومايعبدون وصلوا إلى درجة أن يكونوا آلهة من دون الله، فيا لها من مهزلة غرقوا فيها، ويا لها من متاهة جاهلية ضلوا فيها!! فالحمدلله على نعمة الإيمان.

نأخذ قولاً آخر لجابر عصفور يؤكد هذه القضايا، وذلك في سياق هجومه على عقيدة القضاء والقدر فبعد أن ذكر المقطوعة الإلحادية لعبدالعزيز المقالح من ديوانه «الكتابة بسيف الثائر على بن الفضل» وهي مقطوعة مليئة بالإلحاد في ديوان يدل اسمه على مضمونه حيث جعله كتابة بسيف المرتد

---

(١) الآية ٢١ من سورة الفرقان.

الزنديق علي بن الفضل[1]، وهو رمز للإلحاد والإباحية وفي استخدامه أبلغ الدلالة على عقيدة صاحب الديوان ثم على المدافعين عنه، ومنهم جابر عصفور، وصلة النسب الفكرية بين عموم الحداثيين وعلي بن الفضل صلة قوية، غير أن بعضهم يدلي بجهتين مثل المقالح وعصفور وأدونيس، وبعضهم يدلي بجهة واحدة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[2].

يقول المقالح في مقطوعته من ديوانه «الكتاب بسيف الثائر علي بن الفضل»:

(كان الله ـ قديماً ـ حباً كان سحابه

كان نهاراً في الليل

وأغنية تتمدد فوق جبال الحزن

كان سماء تغسل بالأمطار الخضراء تجاعيد الأرض

أين ارتحلت سفن الله، الأغنية، الثورة؟

---

(١) هو: علي بن الفضل بن أحمد القرمطي، رحل من اليمن إلى الكوفة وكان إمامياً اثني عشرياً فالتقى بميمون القداح فاعتنق مذهب القرامطة ثم عاد إلى اليمن داعياً إسماعيلياً، وجمع حوله الناس، واستولى على أكثر مخاليف اليمن في الجبال والتهائم، ثم ادعى النبوة وأباح المحرمات، وهو القائل:

خذي الدف يا هذه واضربي وغني هزاريك ثم اطربي

تولى نبي بني هاشم وجاء نبي بني يعرب

أحل البنات مع الأمهات ومن فضله زاد حل الصبي

ولا تمنعي نفسك المعزبين من الأقربين أو الأجنبي

وحكم اليمن ١٣ سنة عاث فيها فساداً بالقتل وهتك الحرمات حتى سمه طبيب من أهل بغداد اسمه شريف سنة ٣٠٣ هـ. انظر: الأعلام ٤/ ٣١٩، والحركات الباطنية في العالم الإسلام للخطيب: ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) الآيتان ١١٢، ١١٣ من سورة الأنعام.

صار الله رماداً
صمتاً
رعباً في كف الجلادين
أرضاً تتورم بالبترول
حقلاً تنبت سبحات وعمائم
بين الرب الأغنية الثورة
والرب القادم من هوليود
في أشرطة التسجيل
في رزم الدولارات
رب القهر الطبقي
ماذا تختار؟
أختار الله، الأغنية الثورة)[1].

سبحان الله العظيم، وتقدس وتعالى جد ربنا.

يدافع جابر عصفور عن المقالح، ويسميه الشاعر الكبير والناقد اللافت[2] ويقول: (إن دلالة عنوان القصيدة نفسه ـ الاختيار ـ لافتة بما تؤكده من تمرد على «الجبر» و«القدر» الملازمين لمفاهيم الإنسان التي ينطوي عليها الخطاب النقلي الاتباعي ويبررها...)[3].

وهكذا نرى كيف أراد جابر عصفور أن يغسل الغائط الإلحادي الذي أفرزه عقل المقالح، بغائط مثله!!، وما أصدق الوصف القرآني فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[4].

---

(١) الكتابة بسيف الثائر علي بن الفضل: ص ٥ ـ ٩.
(٢) انظر: الإسلام والحداثة: ص ١٩٦.
(٣) المصدر السابق: ص ١٩٨.
(٤) الآية ٢٨ من سورة التوبة.

ويقول أنسي الحاج: (. . . الحب هو القوة الوحيدة القادرة على تغيير مجرى القدر. . .)[1].

ويقول: (اضيئي وظللي في رأسي أيتها الملكة الماجنة احكمي قدري والعالم أنت القدر وعالمي)[2].

وفي دعاية باردة وتبجيل هابط للشعر الحداثي الذي لايصح أكثره أن ينسب إلى كلام العقلاء من عامة الناس فضلاً عن تسميته شعراً!!، يجعل منه أنسي الحاج مغيراً للأقدار، وتالله إنهم ومن وراءهم ولو ظاهرهم الإنس والجن لايستطيعون تغيير قدر واحد في شأن أصغر المخلوقات، فكيف بالهراء الحداثي المسمى شعراً؟!.

يقول أنسي الحاج: (ما أريده للشعر هو أن يغير الأقدار لا أن يحاكي إيقاع الحالات)[3].

أمَّا السياب فيقول:

(يا أمة تصنع الأقـدار من دمها لاتيأسي، إن سيف الدولة القدر)[4]

ويقول البياتي نازعاً إلى عقيدته الشيوعية وناسباً التقدير إلى الطبيعية في قوله:

(فهذه الطبيعة الحسناء

قدرت الموت على البشر

واستأثرت بالشعلة الحية في تعاقب الفصول)[5].

ويقول ممتدحاً صنوه في الشيوعية «جيفاراً»[6] ماداً جذوره الفكرية إلى

---

(١) قضايا الشعر الحديث: ص ٣١٩.
(٢) خواتم: ص ٤٧.
(٣) المصدر السابق: ص ١٢٧.
(٤) ديوان السياب ص: ٨١٢.
(٥) ديوان البياتي ٢/ ١٦٠.
(٦) سبقت ترجمته: ص ٨١٤.

الوثنية الإغريقية، ثم واصفاً الثورة الشيوعية بالحتمية اللازمة والقدر المحتوم!!:

(لاتجريا فرات حتى أكمل النشيد

كقدر الإغريق

كالموت كالطاعون كالحريق

محتومة تظهر في السماء

علامة الثورة فوق السم والشرور)[1].

ثم يقول عن جيفارا والثورة الشيوعية:

(أيتها العلامة

يا قدر التاريخ والمصير للوجود)[2].

ثم يخاطب جيفارا قائلاً:

(يا قدري المحتوم)[3].

وهي عبارات معهودة من الشيوعيين الذين طالما ناضلوا عن خرافة الحتمية الماركسية، فأراهم الله تعالى موت الشيوعية ودمار الماركسية وفناء الحتميات المادية، ولكن الجهل الضارب بأرسانه في عقول العلمانيين والحداثيين يأبى أن تزول الغشاوة الضاربة بظلامها على أذهانهم!!.

فها هو البياتي يتجاوب مع الشيوعية منذ أول تجاربها في فرنسا عام ١٨٧١م/ ١٢٨٧هـ وهو مايعرف بكومونة باريس[4]، ويمتدح رجال الثورة

---

(١) ديوان البياتي ٢/ ١٦٢.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٦٣.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٦٤.

(٤) انظر: موسوعة السياسية ١/ ٤٧٠ و ٥/ ٢٦٤.

العمالية التي حدثت هناك، وذلك تحت عنوان «من كتابات بعض المحكومين بالإعدام بعد سقوط كومونة باريس» وهذا من أوضح الأدلة على عمق تأثير العقائد في أصحابها، تأثيراً يجعل من الإنسان المتأثر يعيش وجداناً وفكراً، وتاريخاً وواقعاً وفق العقيدة التي يؤمن بها، فالبياتي يذكر كيف أنه ولد «مأخوذاً» للفكرة الشيوعية والمطرقة الحمراء التي هي الأقدار أو صانعة الأقدار، وذلك في قوله:

(احفر في قصائدي نفق

إلى سماء قريتي الزرقاء

مهاجراً مع الطيور ولغات كتب الثوار

ولدت مأخوذاً، وكانت قدمي الريح، وقلبي في يد الأقدار مطرقة حمراء)[1].

وعندما يحاول أن يبحث له عن جذور فكرية أو تاريخية فإنه لايجد سوى وثنيات قديمة وجاهليات غابرة، مثل الآشورية التي يجعل من بعض شخصياتها فأساً في يد الأقدار[2].

ونحو من ذلك وأصرح منه قوله:

(ملكية هذا العشق الداهم صاعقة كالقدر الإغريقي الأعمى

لا مهرب منه)[3].

ويقول صلاح عبدالصبور:

(علقت أقداري على خيط رفيع من ضياء)[4].

---

(١) ديوان البياتي ٢/ ٢٦٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/ ٢٧١.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٤٣.

(٤) ديوان صلاح عبدالصبور: ص ٦٨.

ويزعم أمل دنقل قدرته على مراغمة القدر فيقول:

(لكنني حين رأيت الآن صورة لها

في مهجري

أيقنت أن ماسنا ما زال

حي الجوهر

وأننا سنلتقي

رغم رياح القدر)[1].

أمَّا نزار فيعلن أنه سيثور على قدره ويغالبه، فيقول:

(أثور أنا على قدري

على صدأي على عفني)[2].

ويطيش به كبره وانتفاخه الأجوف إلى حد القول:

(لولم تكوني أنت في لوح القدر

لكنت كونتك يا حبيبتي

بصورة من الصور)[3].

ومن أراد مثالاً تطبيقاً لما قال الله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[4] فليقرأ لنزار قوله:

(مشيئة الأقدار لاتردني

أنا الذي أغير الأقدار)[5].

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأمل دنقل: ص ٩٥.

(٢) الأعمال الشعرية لنزار ١/٥٨٨.

(٣) المصدر السابق ٢/٦٨.

(٤) الآية ٢١ من سورة الفرقان.

(٥) المصدر السابق ٣/٣٢٩.

وقوله:

(أبا تمام: إن الشعر في أعماقه سفر

وإبحار إلى الآتي وكشف ليس ينتظر

ولكنا جعلنا منه شيئاً يشبه الزفه

وإيقاعاً نحاسياً يدق كأنه القدر)[1].

ومن يطلع على أقوال الحداثيين يجد أنهم أكثروا وبصورة مكرورة مملة من أمثال هذه الدعايات التجارية للشعر الحديث، والعبارات التبجيلية التسويقية لهذه البضاعة المقلدة المستوردة، ذات الأحرف العربية والمضامين الغربية!!.

أمَّا توفيق زياد الشيوعي الفلسطيني فقد أثبت بقصيدة له بعنوان «أمام ضريح لينين» كيف يكون الحج الوثني والعبادة الماركسية، والتذلل الشيوعي، والقبورية المادية!! حيث يقول:

(أمامه وقفت خافض الجبين

ضريحك الذي يعيش في القلوب

يا لينين

أحسست أنني أنا المعذب الشقي

المعدم الذي تصيبه من الحياة كوخ طين

أملك كل شيء

أقوى من الزمان والقضاء

وأنني

أقدر أن أقتحم السماء)[2].

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٥١.

(٢) ديوان توفيق زياد: ص ٣١ ـ ٣٢.

إلى آخر هذه المقطوعة التي تمثل نموذجاً صارخاً ومثالاً واضحاً للتعبد والخضوع والخشوع، على رغم ادّعائهم المادية والجدلية والديالكتيكية، وأنهم ضد التدين وضد الغيبيات وضد العبادات، ولكننا نراهم في شقاء وثني يرتكسون وفي انحطاط جاهلي يتقلبون، وذلك من أظهر الأدلة على أن الأوثان والأصنام ليست محدودة بزمن ما قبل البعثة النبوية في جاهلية العرب الأولى، بل إنها تتمثل في نظم ومناهج ومذاهب وأشخاص وأضرحة!! والكفر ملة واحدة والطاغوت جنس واحد وإن تنوعت الأسماء وتعددت الألقاب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ...﴾[1] فكيف إذا كان الأنداد المتخذون من دون الله، يحبون من دون الله ويؤلهون ويقدسون؟ فكيف إذا كان مع ذلك كله البغض لله ولدينه وأنبيائه؟.

وهذه هي أحوال أهل الحداثة والعلمنة ممن انقلبوا على أعقابهم خاسرين وارتدوا في حمأة الجاهلية داخرين، عياذاً بالله من الضلال وسبله وأهله.

ومن نسبتهم التقدير والقدر إلى غير الله تعالى قول المقالح عن أبرهة الأشرم:

(اسمع صوت اللئيم

يحفر لاهيا على ظهور أهلنا مهزلة القدر)[2].

وهكذا يتضح أن المذهب المادي الذي خرجت الحداثة من تحت ردائه، ينفي قدرة الله تعالى، ويجحد وجود القضاء والقدر جملة وتفصيلاً، ولكنه يؤمن في الوقت نفسه بحتمية جبرية، وقدرية دنيوية، من صنع الإنسان أو من صنع الطبيعة ـ حسب رأيهم ـ أو من صنع الأحوال والظروف الاقتصادية والاجتماعية، ولا أدل على ذلك من الحتمية الجدلية الماركسية

---

(١) الآية ١٦٥ من سورة البقرة.

(٢) ديوان المقالح: ص ٣٢٣.

المتمثلة في الجبرية الاقتصادية التي يزعمون معها أنه لا اختيار للإنسان أمامها ولا فكاك له من تأثيرها عليه، وكذلك الحتمية التطورية التي يقول بها جميع الماديين وجميع المتأثرين بهم من حداثيين وعلمانيين، حيث يجعلون التطور والتحول والصيرورة قوة جبرية تخضع الإنسان وأعماله لسلطانها القاهر، وتؤثر في فكره ونفسه ومشاعره وعقيدته وفنه وسائر مناشطه.

وهم مع ذلك يقولون بأن مذهبهم يقوم على التحرر من كل مؤثر خارج الإنسان، ويزعمون أنهم يؤمنون بالإنسان على أساس أنه القوة الفاعلة في هذا الوجود، وبالإنسانية في صورها الرفيعة النبيلة!!.

ثم لايردهم هذا التناقض الصريح وهذه المغالطة الواضحة من التشدق بادعاءات كبيرة، ومزاعم ضخمة، منها إجلال الإنسان والإنسانية، علماً بأن إيمانهم بالإنسان لايؤدي إلى تكريمه كما يظهر من هذه الدعوى، بل إيمانهم به قائم على أساس أنه «مادة» وهذه غاية الإهانة له، ثم هم يرمون من وراء ذلك إلى نفي وجود الله الخالق المدبر، وهذه إهانة أخرى للإنسان وللإنسانية جمعاء، وهذا كله وغيره من الأباطيل يؤكد أن المذهب المادي والذي تخرجت الحداثة في مدرسته: عدو للإنسان والإنسانية.

خامساً: نسبتهم الشر إلى الله تعالى:

مرّ معنا في مطلع هذا الفصل أن الشر لاينسب إلى الله تعالى لقوله ﷺ: «والشر ليس إليك»[1] لكمال علمه ورحمته سبحانه وتعالى، وقد قال وفد الجن الذين أسلموا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[2]، فمن أدبهم مع الله وحسن اعتقادهم لم ينسبوا الشر إليه ـ جلَّ وعلا ـ، بل نسبوا الخير إليه.

أمَّا الحداثيون فلشدة تهوكهم وطيشهم وكثرة ظلمات عقولهم وقلوبهم لم يتورعوا عن نسبة الشر إلى الله تعالى، ولم يستحيوا من الله تعالى،

---

(١) سبق تخريجه: ص ١٤٦١.

(٢) الآية ١٠ من سورة الجن.

وكيف يرجى ممن يجحد وجود الله أو يجحد حقه في العبادة والتشريع أن يعظمه أو يستحيي منه؟.

ومن أمثلة ذلك قول أنسي الحاج: (عفوك يا الله أصوغ السؤال ثم أخاف، ولكن إن لم أصغه اختنق، إذا كنت أنت الخير فستأخذ غضبي بحلمك، وإذا كنت الشر فلن تجد شري بأسوأ من شرك، من أنت يا الله؟)[1].

سادساً: تبرير الرذائل والانحرافات بالقدر:

سبق في أول الفصل بيان أنه لا حجة للعاصي والكافر في القدر، وكيف رد الله على المشركين الذين احتجوا بالقدر، تعللاً وخداعاً على شركهم، كما أخبر سبحانه وتعالى عنهم ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾[2].

ومن جنس هذا الاحتجاج احتجاج العاصي والمنافق حين يحيل فعل الرذيلة إلى مشيئة الله تعالى، ويبرر ممارسته لها بالقدر.

ومن أمثلة ذلك قول السياب في قصيدته «المومس العمياء»:

(ومن الذي جعل النساء

دون الرجال، فلا سبيل إلى الرغيف سوى البغاء؟

الله ـ عزَّ وجلَّ ـ شاء

ألا يكنّ سوى بغايا أو حواضن أو إماء

أو خادمات يستبيح عفافهن المترفون

---

(١) مجلة الناقد عدد ١٨ كانون أول ١٩٨٩ م/ ١٤١٠ هـ: ص ٦ ـ ٧.

(٢) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام.

أو سائلاتٍ يشتهيهن الرجال المحسنون!!)[1].

سابعاً: نسبة الأعمال الإرادية إلى القدر مثل قول بعضهم: شاء القدر أو شاءت الأقدار:

وهذا وأمثاله من الأقوال المنكرة؛ لأن القدر لا مشيئة له، وإنّما تكون المشيئة لمن يشاء والإرادة لمريد، والقضاء والقدر أوصاف ولا مشيئة لها ولا إرادة، وإنّما المشيئة والإرادة للموصوف، وهو الله تعالى الذي قضى وقدر وخلق كل شيء فقدره تقديراً، وقدر فهدى.

ومن أمثلة هذا الاستعمال المنكر في أقوالهم قول نازك الملائكة:

(هكذا ما يريده القدر المحـ ـتوم لا ماتريده آمالي)[2]

وقولها:

(هكذا شاءت المقادير للعا لَم إثم وشقوة وحروب)[3]

وقولها:

(نبئيني أهكذا الأمر يا أقـ ـدار أم قد ضللت في أفكاري)[4]

فهي تخاطب الأقدار وكأن لها فعلاً إرادياً ومشيئة اختيارية!!.

وقولها:

(اتركي الزورق الكليل تسيّر ه أكف الأقدار كيف تشاء)[5]

---

(١) ديوان السياب: ص ٥٢٢.
(٢) ديوان نازك الملائكة ١/ ٢٨ و ١/ ٣٦٢.
(٣) المصدر السابق ١/ ٥٠.
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٢٢.
(٥) المصدر السابق ١/ ٣٥٦.

وقولها:

(عبثاً تصوغاً التوسل في الدجى قلب القضاء قضى بألا تنعما)[1]

وقولها:

(يا آدم لاتسأل حواؤك مطوية

في زاوية من قلبك حيرى منسية

ذلك ما شاءته أقدار مقضية

آدم مثل الثلج وحواءٌ ناريه)[2].

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق ١/ ٥٦٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٨٥.